كتاب شذّراتْ

تأليف: فاطمة محمد الدفعي

إعداد، وتنسيق، وتدقيق: فاطمة الدفعي

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف[2024]

النشر الإلكتروني بواسطة: [مكتبة الكتب]

إهداء

أُهدي هذه القطع الذهبية لقطعة قلبي المفقودة، لأبي حبيبي رحمة الله تغشاه.

شذرات: قطع ذهبية وهذه قطعة أُهديها لفقراء السكينة، ومرضى القلوب، وأصحاب الثياب البالية: أفكار غزلها ناس ماقبل الألفين، لمن يرتديها اليوم فلا يليق به مظهره، وأيضًا لأصحاب التطور الذين فقدوا عقولهم، ودهست قلوبهم أقدام الشيطان، وتلوثت بخباثة أفكاره، للعاجزين عن الركض في سباق الوقت، للضائعين بين أربعًا وعشرون ساعة، للمتعبين و الكئيبين، لكل حزين يبكي على مافقده، ولكل حائرٌ في أمره.

مقدمة

ومابيَّن حروفٍ شاردة، وكلمات تحمل عبقَّ المشاعر تنفست بعض السطور بحرية، فكتبت عن عظمة جبر الله في آياته العظيمة، وكتابه الكريم... تلك الآيات التي تنفُث فيّ الروح الحياة، وبِسطوتها على العقل تأسر القلب، فيتمنى لو أن كلماتهِ تُنقش بالذهب على صفحات روحه حتى لايتنفس غيرها، وكأنها تكفيه، وتُغنيه عن كل شيء يدور حولهُ، فتكتفي الروح ببوحٍ بسيط وبعضٍ من بعثرة مشاعرها على هذه السطور؛ فسطوة هذهِ الكلمات وعبيرها يعبق بالحياة و يفوح من بين الحروف ... لقد كُتبت بماء الذهب في صفحات قلبٍ مشقوقّ؛ فلتحم بخيوطها الحريرية، وعاد لينبض بكلماتٍ مُتجانسة، ويهمسّ للسطور في خفوت حتى تتمكن مشاعره النائمة من النهوض، ستنهض في فزعٍ شديد من الغفلة التي أصابتها؛ فتعود لتُحلق مع الكلماتِ كما كانت تُحلق من قبل... هنيئاً لنا بتلك الروح التي نُفثت فينا حتى نعود نرنو للحياة بنظرةٍ ثاقبة، وكأن العمى لم يُصبنا من قبل.. سبحان الله كيف نجد بلّسم لجرح الروح في سطور قد لا تعنينا لكنها قد تُحيينا.

لقد سمعت الشاعر يدخل الآيات في الأشعار، ورأيت الشيخ يفتح صيدلية ليُعالج الناس بالقرآن، ورأيت حافظ القرآن يحفظ التجويد، والأحكام، ولا يعلم التفسير، ولا يعرف كيف يتدبر، وفوق كل هذا يسمع الألّحان، ويرى المسلسلات ليرتاح من تعب حفظه، ومن شدة جهلهم بعظمة كتابهم الذي أُنزل إليهم لا يرون إدخالهُ في الشعر ذنب، ولافتحهُ صيدلية جريمة، ويقدسون كل حافظ، وإن لم يعرف تفسيره، و يشجعونه لتعليم الناس علمه الذي لايتجاوز رسم الآيات في ذهنه، وهكذا يتناقلون الغفلة، ويُحفظون طلابهم حفظ لاعلم فيه سوى أحكام الميّم، والنون الساكنة، يقيسون حركات المدود ليُتقن الطالب حفظه، ويظن أنه أخذ كل مايحتاج من الدين بحفظ القرآن متقناً بالتجويد، فأصبح الدين كلام لا أفعال، وظاهرًا لاجوهرًا. علَّموهم كيف تخرج حروف القرآن من الجوف، والفمّ واللّسان، ولم يعلموهم كيف تخرج من القلب، والروح؛ لتسّكُن في الفؤاد. علَّموهم أحكام النون الساكنة، والتنوين بين كلمات القرآن، ولم يعلموهم عظمة الكلمات، وإعجاز الترابط في الآيات... عرفوهم على حروف الإخفاء ليعرفوا متى تختفي النون والميّم الساكنة في القرآن، ولم يُعرفوهم على مفاتيح إخفاء الهموم، والأحزان الساكنة في القلب، ليعرفوها عند قراءة القرآن. علَّموهم أحكام التلاوة لتتزين بها أصواتهم، ولم يُعلّموهم آداب التلاوة، لتتزين بها حياتهم. عرفوهم على معانيّ الكلمات من تفاسير موثوقة ليُحكموا لِّجام عقولهم، ويُقفلوا قلوبهم عن التدبر، همّ يُدركون عظمة القرآن عندما تُبيّن لهم معنى الآيات حسب فهم مختلف فقط، وتتعمق تعمق لم يعتادوا عليه. عندما يكون تدبرك خارج تدبرهم، وبعيد كل البعد عن أفهامهم سيخبروك بعظمةَ القرآن، وسيقولون لك لا تفسر القرآن حسب هواك، بل اِدرس التفسير، والأحاديث وكن عالمًا جليلاً قبل أن تتدبر معانيهِ العظيمة. سيتهمونك بالجهل لأنك خرجت عن نطاق علمهم فقط، وكأنهم يعلمون كل شيء

شذرة 1

في كل آيات القرآن الكريم أمل وحياة، فالقرآن الكريم ربيع القلوب.

الإيمان لايعني أن تقراء القرآن بخوف، ورهبة وبكاء، لماذا لاتبكيّ فرحًا؟! لماذا لا تتعمق في الآيات بحثًا عن الأمل؟!

الدين ليس رهبة، وخوف فقط، بل رغبة وآمان، وليس كما رسموه لنا المُتشدديّن المُحبطيّن.

القرآن ليس للتلاوة، والتجويد، والتباكي، والتخويف؛ بل هو دستور حياة، فيه أسرار الكون، ومفاتيح الروح التي تجهلون عظمتها، وما يعلم ماهيتها سوى خالقها العظيم. نحنُ لم نخلق عبثًا حاشا لله، والقرآن ليس مجرد كتاب بل هو حياة، طاقة، وقوة عظيمة، فيه الحاضر، والماضي، والمستقبل، فيه الأمان، والسكينة والسلام، كل مايتمناه الإنسان البائس موجود في القرآن الكريم. ليست مجرد كلمات كتبتها ولاتُعتبر تعبير مجازي أبدًا؛ بل هي حقائق غفل الجميع عنها. في القرآن الكريم كل كلمة لها ألف معنى، وألف شعور

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ }[سورة القمر : 40]

سبحان من يسر لنا القرآن، ويسر لنا به الذكر العظيم خالق الأكوان، وعالم أسرارها. القرآن يسير ولله الحمد، والذكر يحتاج لقلب مفتوح.

{ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } [سورة محمد : 24]القرآن ذكرى لأولي الألباب، أصحاب العقول السليمة الذين يسمعون، ويطيعون، فلا يجادلون.

{ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا } [سورة الكهف : 54]

{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا }[سورة الفرقان : 32]قرأة الآيات تحتاج قلب قويّ، فهذا رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ نزل عليه القرآن بالترتيل وبهدوء ولم ينزل جملة واحدة؛ لأنه أعظم من أن يستوعبه أو يتحمل عظمته حتى قلب أعظم خلق الله إيماناً وتصديقًا.

نزول القرآن كان في أوقات متفرقة ليستوعب رسوله الآيات، و يستوعبها المؤمنين وتدبرها عقولهم، وتُتقنها قلوبهم.

اليوم يختمون القرآن أكثر من مرة وفي أسرع وقت، لكنهم لم يستوعبوا حتى آية واحدة إستيعابًا كاملاً، لأنهم يُحاولون أخذه جملة واحدة، لذلك لاتتثبت أفئدتهم به، كيف يثبت فؤادٌ قلق يقرأ القرآن كأنهُ في سباق، يعجل بلسانه فيتشتت عقله الذي لازال يحاول فهم أول آية، أو حتى معنى إسم السورة، لكن صاحبه شاردٍ عنه بنسافاتٍ طويلة فقد أكملها وانتقل لغيرها، سيتوقف العقل عن التدبر لأن اللسان أسرع منه، لقد اعتمدوا على ألسنتهم أكثر من عقولهم، أي قلب سيهداء وصاحبه لايتوقف بين الآيات ليتشرب سكينتها، ويستنشق عظمتها فيخشع خشوع المؤمنين، ليستحق أن يكون شفاءً لما في صدرهِ من كدرٍ وقلقٍ قد أرقَّ حياته، ونغص عليه عيشه.

{ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }[سورة الحشر : 21]

القلب الذي لايخشع ولايتصدع من خشية الله هو قلب ميت لايعرف معنى الحياة، لو أنزل الله القرآن الكريم على جبل كبير شامخ راسيًّا على الأرض لاتحركه الرياح، والعواصف، ولا قوة على الأرض تستطيع تحريكه من مكانه، فهذا الجبل لو أنزل عليه القرآن لتصدع وخشع من خشية الله -عز وجل- تفكر بعقلك أيها الشارد... من أنت لتحفظ الآيات كاملة وقلبك لازال كما كان؟! القلب الذي لايتصدع عند سماع القرآن، أو قرأته لن يعرف معنى القوة، والشموخ في حياته، القرآن عندما يدخل القلب يجعله يتصدع، فيخشع، ويخضع، هو لايهدمه؛ بل يهدم الأقنعة الزئفة، والأغشية التي غطت على جوهرهِ النفيّ، هو يُزيل القشور، ليظهر جمال الجذور، وصلابتها، وثباتها، فإن كان قلبك مجرد قشور فسيهلك، وإن كان جوهر فسيقوى، وإن كان قشور وأغشية قد غطت عليه؛ فهو سيعمى عن جمال آيات الله، وروعة القرآن وعظمته التي تجلي القلوب جليًا، وتُعيد تشكيلها من جديد في كل مرة تكسرها الحياة، والقسوة.

لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [سورة الحشر : 21]

لو أنزلت الآيات على جبل لخشع ثم تصدع من خشية الله -عز وجل- فما بالكم بقلوبكم الضعيفة المليئة بالشك، قلوب تؤمن بأن الحسد، والهم، والفقر، والمرض، قد تمكن منها أو أنهُ يتربص بها. ألن تتصدع تلك الأفكار؟! فتنهار الأعصاب بعد سماع القرآن مابال الناس يقرؤن القرآن. ويسمعونه دون خشوع، هل زالت خشيتهم من الله، أم أن الذنوب تراكمت حتى رآن عليها فعميت؟!

قال تعالى

{ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ }[سورة المطففين : 14]

كم زلة كتبت وأنت غافل عنها؟! كم من ذنبٍ كسبته، وأنت لازلت في تلك الغفلة؟ لقد تراكمت حتى حجبت قلبك عن القرآن.

كثيرون هم الذين يقرؤن القرآن اليوم، لكنهم لايتعافون من السحر، والحسد؛ بل إنهم لايتعافون من أفكارهم السلبية، وحتى الغبية...لأن قلوبهم محجوبة عن التصديق بعظمة القرآن الكريم يقرؤنه على عجل، ثم يتأثرون به أشد أثر. لكنهم لا يرجعون للبحث عن السبب، بل يتركون القراءة، ويستعينون بشيخ يقرأ عليهم، فإذا بالقلوب المحجوبة تتألم، وتصرخ ليس جناً كما يدعون، بل إن السبب هو دخول طاقة هائلة روحانية حقيقية في روح مريضة منهكة؛ بسبب تلاعب الشيطان بها، أما الشيطان فهو لايبقى حين يُقراء القرآن، لكنها أفكاره المخادعة التي شككت ذاك المريض بقدرات عقله، وبقوة جسده، وبحفظ الله له.

شذرة 2

عندما تؤمن بأن الله يحفظك فلاتظن إذا مرضت أن الله سبحانهُ قد تخلى عنك حاشاه، وأنت حتى بتفكيرك هذا لاتخرج من حفظه رغم يأسك، و قنوطك. لكنه يحفظك، لذلك فل تعلم أنك حتى في مرضك أنت في حفظه، وفي ألّمك أنت في حفظه وحتى تلك المصيبة العظيمة التي أصابتك كنت في حفظ الله -عزوجل- هو قدرك الذي قدره عليك، فساقك لكل تلك الأقدار، وإن كانت مؤلمة؛ لكنها قد كُتبت عليك، وهذا من حفظ الله لك، عندما يسوقك إليها بتيسير، وتمهيد فلا تنزل بك مصيبته إلا وقد أنزل على قلبك الصبر، والثبات، وكل مايعينك عليها. تذكر أن من أركان الإيمان أن تؤمن بالقدر خيره، وشره؛ فلو استقر الإيمان في قلبك لرأيت الخير يأتي إليك، في باطنِّ كل شرٍ قُدر عليك. عندما تقول الله هو الحفيظ، وسيحفظني وقلبك مهزوز، خائف من الجن والإنس، والشياطين الذين لاتراهم لكنك تخافهم، فبالله عليك! كيف هذا التوكل؟ هل تؤمن بأنهم لا يملكون لك ضرًا ولا نفعًا؟! أم أنها كلمات تخرج من لسانك، ولا تستقر في قلبك.

كن مؤمن بحفظ الله لك لدرجة أن لاتخاف من أن يصيبك ضر من أي بشري أو مخلوق، لكن لاتكن أحمقّ وتظن أنك لن تمرض، ولن تتأذى؛ فتقول توكلت وآمنت، لكني مرضت، وتألمت، وتأذيت، فكيف لم يحفظني ربيّ؟ أنت في حفظه حتى وأنت تتألم، عندما تؤمن بأن الألم هذا قدرك، وأن المرض الذي أصابك لم يكن بسبب الحقودين، أو الشياطين وإنما كان مُقدرعليك من ربَّ العالمين؛ فأنت في حفظ الله حتى ولو كنت مسحور، أو محسود، أو فيك مرض خطير كما يدعون.

الله سبحانه يحفظك من الأوبئة، والحشرات السامة، والوحوش، يحفظ جسدك يحفظ دقات قلبك، بحيث لاتزيد، ولاتنقص، ويحفظ عقلك من أن يتلخبط في أوامره، لحركاتك، وسكناتك، ويحفظ سمعك، وبصرك؛ فإذا فقدت منها شيء فقد عوضك في شيء آخر، يرسل ملائكته لتحفظك في نومك حتى استيقاظك، هو لم يتركك، وإنما قد قدر عليك مرض ألم حزن فقد، ومهما كانت شدة ابتلاه لك فأنت مازلت في حفظه.

قال تعالى: { { لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ }[سورة الرعد : 11]

إلجاء إليه فهو وليّك، وخالقك، ومدبر أمرك، ووحده كاشف ضرك، إلجاء لمن بيده الأقدار، فلا تدري أي منزلةً بلغت بعد ذاك الإبتلاء، ادعو الرحمن، وسيرحمك، وبعد صبرك الطويل، وحسن ظنك سيغير القدر لأجلك، هي أقداره وأنت عبده؛ فلا تسأل كيف؟ ومتى؟ وماذا أفعل؟ فهذه نفسك أنت تختار إيمانها، وأنت تختار تغييرها حتى في أشد حالتك سواءً. فقط أحسن الظن بها لم تُخلق لتتذمر من نفسك، فهي لم توجد فيك ضعيفة؛ بل أنت قد أضعفتها بقلقك، وتواكلك، و يأسك من رحمة الله.

نظف نفسك من ترسبات الجهل، وعقم قلبك الذي تلوث بأفكار الشيطان فما كان ربك نسيًا، حاشاه لكنك نسيت أن تُقويّ قلبك وتُدخل إليه الإيمان، قبل أن تبعثره بلسانك بين الجاحدين... لسانك يذكر الله وقلبك لا يعرف معنًى للإطمئنان.

قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (84) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (85) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (87) قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (88) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ (89) } [سورة المؤمنون : 84 إلى 89]

عندما تضيق بك الأرض، ويبتليك الله بمن فيها من شياطين مؤذية؛ فتذكر أنها، ومن فيها لله سبحانه، ثم توجه إليه، وكفى...

إن الأرض، وكنوزها، ومخلوقاتها بكل سعيها وتحصيلها، وأسرارها المدفونه عن الجميع. بيد مَن؟! بيّد ربَّ السموات السبع، ورب العرش العظيم، المُطلع على كل شيء في مُلكه، المُدبر لكل شيء بحكمته.

سبحان من يعلم كل الخفايا، والنوايا المُطلع على السرائر، والضمائر، مَن يُجيّرُ الضعيف من القوي سواه! فإذا كنت في جواره فلاقوة في هذا الكون تستطيع أن تضر المُستجير إليه، لتعلموا أن من استجار بالله، وحده لايُجار عليه أبدًا أبدًا أبدًا! ماذا بعد هذه الآيات العظيمة، أيّ دليل تُريدون لتعلموا أن المُلك، والقوة، والنفع، والضر بيد مليككم القادر عليكم، الرحيمُ بكم. فكيف تُسحرون؟ كيف أصابتكم الشياطين بضُرٍ، و أنتم مؤمنون؟ هل سحرت عقولكم بالشك، والحذر، وجعلتكم تظنون بالله الظنون؟ هل زعزعت يقينكم برب العرش العظيم؟! هل جاروا عليكم بعد أن استجرت بالله؟!!! حاشى لله. بل هي سحرتكم، فصدقتم سحرها، ثم قطعتم يقينكم بالشّك؛ فقتلتم إيمان قلوبكم الذي كان حصنا حصيناً لكم، ومرضت تلك القلوب بعد أن دخلت إليها الأفكار المريضة، والجراثيم الخبيثة، هذه نتيجة نسيانكم ربكم، فإما إيمان وسعادة، أو شك وتعاسة، فإما عقل سليم وأفكار صحيّة، أو أفكار مريضة تُسمى (سحر).

شذرة 3

[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا }[سورة الأحزاب : 59]

لنتوقف لحظة هنا، عند هذا الخطاب القرآني العظيم لنساء النبي وبناته، ونساء المؤمنين... لايوجد زجر ونهي وتخويف؛ بل ليّن ورفق ورحمة، وخوف عليهن من أن يؤذين.

الجلباب كان موجود حتى قبل الإسلام، فالستر شيمةَ الحُرة وزينة الأصيلة، تلك التي تقدر نفسه، وتحفظ عفتها، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما جئت لأُتمم مكارم الأخلاق) شيم العرب وأخلاقهم كانت تفوح حتى في زمنِ الجاهلية، وعصور الانحطاط كانت تُراث يتناقله الأجيال، وهاهو القرآن يشهد على ذلك، يشهد أن نساء العرب لم ينقصهن إلا أن يُدنين عليهن جلابيبهن لكي لايُعرفن فيؤذين، يالها من رحمة عظيمة، ماذا سيؤذيهن إن عرفوا وجوههن؟! وحده الرحمن يعلم رقة هذه الوردة الحريرية، التي تؤذيها حتى النظرة السامة، يؤذيها التفكير الخبيث.

أين نساء العرب اليوم من هذه الآية، وأين العرب من أخلاق العروبة؟! يانساء العرب إن التكشف أذية، وليس حُرية، ياجواهر الإسلام إن القرآن، والدين والحجاب يحميّكِ من الأذى والأذية.

اليوم هناك نساء متحجبات، و بالجلباب هناك كريمات أكرمهن الله، وأنزل عليهن ستره... فيا أختي الفاضلة لكن إياكِ أن تهتكي ستركِ بنفسك، فتركني على الشيطان، وأقصد بذلك الصور التي تتصورينها في أجهزة لاتعرف معنى الستر، أنتي في الآمان فلا تهتكي سترك، وتُصوريّ نفسك بكل صورة لا تليق بحجابك، و بجلبابك، لكيّ لاتُؤذي ياحبيبة... هذا الخطاب قائمٌ إلا قيام الساعة، وهو اليوم يُخاطب نساء المؤمنين كافة، لا تنزعي جلبابك وتخرُجيّ من جنة الستر التي أكرمكِ الله بها.

عندما تقومين بتصوير نفسك، وأنتِ بكامل زينتك، فأنتِ لم تحترمي حجابك، كيف أمنتِ على نفسك، لاتُصدقيِّ الشيطان عندما يأتي ليُحدثكِ عن جمالك، ثم يشجعكِ أن تُرسلي تلك الصور لصديقتكِ، أو أي شخصٍ آخر، أنتِ هكذا تخونينّ نفسكِ خيانة عظيمة، فكيف تتوقعين أن يفيّ معها أحد بعد خيانتك لها، قد تنتشر صوركِ دون علمكِ، ثم تبقى حُرقة في قلبكِ العمر كله، لاعذر لكِ بعد أن كنتي في ستر الله تنعمي بالأمان، والرفاهية، كملكة في قصرها لا يعرفها أحد، ثم تتحول لجارية خائفة باعها الجهل للشيطان، وباعت نفسها بثمنٍ بخس للتطور فتزينت بزينة الدنيا الزائلة، الستر لايعني أن تكوني بجلبابكِ في الشارع، وبزينتكِ كاملة في المواقع، تستري في مواقع التواصل أيضًا، الصور التي تأخذينها احرصي أن تكون ضمن زينتكِ التي تبدينها فقط، فنحنُ أصبحنا نعيش في حياة افتراضية أخرى، فإياكِ أن يُبيح لكِ الشيطان ماحرم الله تعالى عليكِ في الحياة الحقيقية التي نعيشها، لا تنخدعي بسراب الأمان الزائف فيها، فالله مطلع على كل شيء، وهو الحافظ لكل الكون ومن عليه، لكننا مخيرون في طريق الإستقامة، وهي تشمل كل جوانب الحياة، فلا يغرنكِ الشيطان ويزين لكِ القبيح، الخبيث قد طغى على الطيب فكونيّ حذرة أختيّ الفاضلة، ولا تنزلق قدمكِ بعد ثبوتها.

التي تنتشر صورها، فتبكي، وتندب حظها، ما فائدة البكاء، إن الله لا يمل حتى تملوا، مللتي من الستر، أم أردتي أن تجربي حظك مع الصور وإرسالها لتتباهي بنفسك، إعلمي أنكِ بأي صورة تصورين نفسكِ متعمدة بكامل زينتك، فأنتِ قد هتكتِ ستركِ بنفسكِ، وخرجتي من حفظ الله لكِ، و حشمتك، خرجتي فلا حجة لكِ بعد ذلك، لاتقولي لم يسترني ربي، بل قولي لم أحفظ نفسي، ولم يصنها كما ينبغي، لكن الله غفورٌ رحيم، يفرح بعودة عبادة، ويحب الأوابين، فلا بأس عليكِ مهما واجهتي بسبب تلك الصور، وذاك الخوف من أن يعرفك أحد طمئني قلبكِ بهذه الآية، وعودي لتستظلِ بظلالها، في نهايتها رحمة، ومغفرة عظيمة أتت بعد الحرص، والتوصية والنُصح الذي جهلتيهِ من قبل، لابأس عليكِ، فالله يغفر الذنوب جميعًا ويقبل التوبة من عباده، ويرحم قلوب التائهين فيهديها بهدايته [... وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا][سورة الأحزاب : 59]

شذرة 4

{ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (6) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (7) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (8) }[سورة العاديات : 6 إلى 8]

هذه هي بداية شقاء الإنسان، وهنا يكمن كل بؤسِ ذاك البائس الكنود، الذي ينسى نعم الله عليه، ويعد المصائب فقط، هذا الجاحد لنعم ربه شاهد على جحوده بنفسه، هو يعلم ماتصنع نفسه عند كل بلاءٍ ينزل عليه، فهو يسارع إلى نكران ماهو فيهِ من النعم، وهذا الطبع ملازم لكل الناس إلا من رحمه الله من شقائه وكده، فأنزل عليه سكينته، وثبت قلبه على الصبر والسلوان، الإنسان شديد الحب للخيرات، طماع في الزيادة بطبعه العجلّ، يحب الماديات حبًا جما، ولايرى نعم الله حوله وفي نفسه، يعتقد أن المال وحده هو الثراء والسعادة، والرفاهية، فلا يقدر نعمة الصحة، والأمان، ونعمة العقل، والغنى عن الناس، يرى فقط مصائبه، فقره، وديونه، وفقده لأحبابه..

ماذا لو نظر حوله؟ لو خرج من ذلك الأفق الضيق إلى رحابة الحياة، وسعة نعم الله التي تغمره وتغمر حياته.

{ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (9) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (10) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ (11) }[سورة العاديات : 9 إلى 11]

توقف لحظة، وتخيل ذلك المشهد العظيم، عندما تتبعثر تربة قبرك، وتخرج بعد نومٍ طويل، ربما لسنوات وربما لقرون، أو لمليارات السنين..

هل تظن أنك قد نجوت من الفضيحة عندما خرجت من الدنيا وسرك مدفونٌ في صدرك؟! هل تظن القبر الذي تعذبت فيه قد اختفى سرك فيه؟! لا نجاة لك من سرٍ مات دون غفران، ولايوجد سترٍ لفضيحة مغرورة وأكبر من حجمها، خروجها من الدنيا بتخفي ودون جلبة ودون عقاب لايعني نجاتها، بل يعني أنها ستنال عقاب عظيم، وستُفضح أمام كل الخلق في يوم العرض على الله عز وجل.

تفقد صدرك مادمت حيٌّ تُرزق، فإذا وجدت فيه سرٌ تخاف أن يعرفه الناس، ولازلت تُداريه، وتُواريه، فسلمهُ لصاحبّ الفضلِّ عليّك، لاتغتر بستره، فهو حليمٌ رحيم لكن عدلهُ بميزانٍ عظيّم، هو يسترك لتتوب في الدنيا، قبل أن يُبعثر قبرك فيحصل كل مافي صدرك.

تُب إلى الله من كل ذنب، واستشعر نعمه عليك، ولاتكن جاحدًا، كنود، يائس مُحبط، لاترضى عن النعم، فلا يرضى عنك مولاك ومولاها، لاتترك قلبك مفتونٌ بالمعاصي، والشهوات، ألا يكفيك أن الله تعالى يستر جشعك، وطمعك الذي تخاف أن يعرفه الناس، ولاتخجل من ربّ الناس الذي يعلم كل خفاياك، ويسمع قلبك الذي لا يرضى بما قسمه لك، تذكر إن ربك بك خبير، والخبير سيصلح حياتك من كل النواحيّ، سيفاجئك برحمته لك.

شذرة 5

{ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (50) وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (51) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (52) }[
سورة القلم : 50 إلى 52]

الإنسان عبارة عن كتلة مشاعر هذه المشاعر تكون طاقة له، مثلاً الغضب، يجعله لايرى شيأً، فيكون أقوى من المعتاد، ويهاجم بشراسة، وهذا معروفٌ فيهِ كيف يتلاعب به الشيطان، والحزن يجعله خاملاً لايقوى على الحراك، زمتعبٌ كثيرًا بسببه، أما الفرح يجعله خفيف، ونشط... هذه المشاعر تنعكس إيجابًا أوسلبًا على الشخص ومن حوله، وهي تختلف من شخص لآخر من حيث قوتها؛ فهناك من تكون مشاعرة هياجة، وقوية بقدر تركيزه عليها، وهذه المشاعر تشكل طاقة الإنسان.

فالحسد هو مجرد شعور داخل الإنسان الغيور الذي لا يرضى بما قسمه الله له، وبسبب سخطه على صاحب النعمة وبغضه له؛ تتكون داخله مشاعر سلبية قوية، طاقة سوداء مليئة بالكراهية لا خير فيها أبدًا، ثم تنتقل تلك الطاقة المعتمة لمن كان السبب في تحريكها، سواءً بعلمه، أو بدينه وصلاحه، أو بأي نعمة أنعم الله بها عليه، هذا هو الحسد وهو مشؤوم يجب تجنبه، ستجد الحاسدين حولك، لكنهم ينظرون إليك، ثم يسخرون منك وكأنهم لا يهتمون بك، وداخلهم براكين كراهية وغيرة تنفجر وتحاول اِحراقك، لذلك أبتعد عنهم لا تهتم بسخريتهم وإياك أن تظهر لهم نعمة أنعم الله بها عليك؛ لأن طاقتهم السوداء ستؤثر عليك، وقد تحرقك نار غيرتهم، أطفئها بذكر الله، بالقرآن والأذكار، وتجنب كل حاسدٍ وحاقد، ستعرفهم عندما تجد الكثير ينفر منهم، فوجودهم يسبب ضيقة للجميع، قد لايعرفون سبب هذه الضيقة، لكنهم يبتعدون عنهم دون سبب يذكرونه بينما السبب هو أن داخل هؤلاء سخط على حياتهم وحسد للذين حولهم، لأنهم يتمنون زوال النعمة، والعافية من صاحبها، يريدون أن يكون كل شيء لهم فقط، والآخرين ينظرون إليهم بإعجابٍ دائم، لذلك هم يكرهون أن يتفوق أحد عليهم، فتجد كلامهم فض، وكله كبر وأنانية، ولايحسبون حساب مشاعر من حولهم، لأن قلوبهم قاسية.

[...وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...]

[سورة آل عمران : 159] عندما يصاب الإنسان بالحسد تتعكر حياته، لأن هناك من ركز عليها وراقبها مراقبة شديدة، فسبب لها بأرتباك، وكركبة، والسبب غير معروف، لكن الحسد شعور عابر، كالحزن، والغضب، فقد ينتهي بخروج صاحبه، وبنسيانه له، أما مايصيب المحسود بعدها، فهو بسبب إهماله لتلك المشاعر السلبية التي هجمت عليه وعلى حياته، فعكرتها، هو قد لاينتبه لها في البداية، ثم تبدأ تتراكم حتى تخرج عن السيطرة، فتظهر لتعرقل حياته وتمنعه من النجاح والتقدم، وبعد أن يستسلم لها بالكلية يعارضه الشيطان، ليس لأنه محسود، فالحسد لايبيح له معارضة الناس، ولكن لأنه أصبح ضعيف، لأن اليأس يتمكن منه بعد فشله في عمله تدهور صحته شعوره بالتعب دون أي سبب وأهماله لدينه بعد أن تضعف قوته ويعجز عن المقاومة، هذا الضعف هو المدخل الوحيد للشيطان ليتمكن من قلب الإنسان فيزيده عذاب ومشقة وتعب، عندما يريد أن يقرأ القرآن يزيد من سمه في القلب الذي أخترقته المشاعر السوداء التي أورثها الحاسد فيه، أو لنقل أخرقته نار الحسد، وهكذا حتى تتفاقم حالته، ويصاب بالجنون، أو بأمراض مستعصية، وقد يتلاحق عليه المرض حتى يهلك، وعلاج هذه العين الملعونة يجب أن يكون قوي وأقوى منها، ولايوجد أقوى من القرآن الكريم كلام الله العظيم، الذي أنزلهُ مباركًا من السماوات العلى، وجاء به الروح الأمين إلى أشرف المرسلين، هذا النور بأكمله بين أيدينا ونحن نعجز عن فهمه وتدبره، فكيف سنعرف كيف نشفي مافي صدورنا، وكيف نتشرب نور الآيات حتى تدخل وتمحو الظلام الذي جثى على قلوبنا، لتمحو الظلام آمن بالنور، مثلما أيقنت بأن هناك حسد أصابك أو سحر أو مس، أيقن أن علاجك هو القرآن وأنه سيكون علاج كافيًا، لاتجعل إيمانك بالضر الذي أصابك أقوى من إيمانك بالنور الذي في القرآن الكريم، لن تحتاج لأستشارة خبير، ليخبرك ماذا تقرأ منه أو كيف تقراء فالله عزوجل قد قال { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ } [سورة

القمر : 17] هذه الآية تكررت أربع مرات في سورة القمر، تذكر وتدارك مافاتك خذه بإيمانك بقلبك وروحك، تشربهُ أيه المتعطش للنور، يامن أنهكك ظلام الظالمين وخبث الخبيثين، لاتيأس ولاتقنط فرحمة الله أوسع مما يجمعون، القرآن كلهُ شفاء لايوجد آية تشفيك وآية لاتشفيك، حاشى لله من هكذا تفكير، كل حرف فيه شفاء، لكن ليس لمن يقرأه قرأة العاجزين عن التصديق، والتفكير بمافيه من عظمة، ولا العمي عن نوره العظيم، والصم عن مافيه من ذكرٌ لله وقوته، وجبروته، ورحمته، وحلّمه ولُطفه، وما ذُكر فيه من بديع خلقه وعجائب صنعه، ما أعده للآخرة وما خلقه في هذه الأوله، ليس علاجك أن تقرأه وتتلوه وأنت غافلٍ عن عظمته، علاجك هو القرآن نفسه الذكر الحكيم.

شذرة 6

{ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ }[سورة آل عمران : 58]ل

تستريح من تعب الحياة، ضع رحالك هنا، يكفيك همًا وخوفًا، وضع عجزك ومرضك جانبًا، واقرأ الآيات مستسلمًا لها، سارحًا فيها بالساعات، متعجبًا، ومتأملاً، ومسبحًا، قف فهنا نداءً للمؤمنين، وبعدها ترغيب بجنة النعيم، وهنا ترهيب للكافرين، ونار جحيم، عش لساعة بل وساعات مع تلك الآيات العظيمة، لست في سباقٍ مع أحد فلا تستعجل في قرائتك، أجرك محفوظ بل ومضاعف بتسبيحك مع الآيات، ودعائك رغبة ورهبة بما ذكر فيها، بكل حرفٍ فيه حسنة والحسنة بعشر أمثالها، هذا أجر القارئ والحافظ، أما المتذكر والمتأمل، فلهُ فيهِ نعمتان نعمة مؤجلة ونعمة مُعجلة، المؤجلة في الآخرة حسنات، والنعمة المعجلة هي في الدنيا، سكينة في القلب، ورحمة لهُ من عذاب الحزن والألم، فالآيات علاج قوي لهم تنقيهم من ذنوبهم وتطهر أرواحهم من أوساخ الدنيا الدنيئة، وتعيدها للحياة وكأنه لم تعرف معنى الألم والحزن والفقد وشوقه والوجع أو الحسد وحروقه، هذه السكينة هي جند من جنود الله يؤيد بها عباده المؤمنين الذين يتذكرون الآيات ويتفكرون في الكون العظيم، هم أصحاب العقول السليمة، التي لا تفكر حطام الدنيا وحظوظها الفائتة منه، بل تفكر في الكون وأسراره تتفكر في السماء والأرض في الليل والنهار في الماء والزرع.

قال تعالى { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ }[سورة الزمر : 21]

هذه هي الحياة مع القرآن، هذا هو الشفاء بالقرآن، لا تقرأه ألف مرة ولا تختمه ألفين مرة في السنة، بل فكر في آياته وقف عند عظمتها متأملاً ومسبحًا لخالقك العظيم، لتنزل على قلبك السكينة وليُئيدك بجنده الخفي.

قال عز وجل في علاه:{ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا }[سورة الفتح : 4]

{ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[سورة التوبة : 40]

السكينة جند من جنود الله، والغباء الذي جعلهم لاينظرون تحت أقدامهم جند من جنود الله سلطهُ على الكافرين، الأمان جند من جنود الله، اليّقين جُند من جنود الله، حسن الظن بالله جند من جنود الله أيضًا سبحانهُ جلّ في عُلاه... كل هذه المشاعر هي جند من جنود الله الذين لانراهم، ولكننا نشعر بهم في قلوبنا.

عندما تحاصرك المشكلات، وتعصرك قسوة الحياة، وأنت لازلت تبتسم، وتثقّ بأن كل هذا مؤقت، وأن الله لن ينساك، فاعلم أن الله قد أيدك بجُندهِ الخفيّ فعلاً، وهو سبحانهُ العزيز الحكيم.

شذرة 7

{ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا }[سورة الإسراء : 82] القرآن ليس صيدلية نفتحها للمرضى، القرآن عظيم وكل آية فيه عظيمة، والذين يستخدمون بعض الآيات بحجة أنها للشفاء أين هم من قول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ }[سورة يونس : 58] القرآن موعظة لكل الناس، فمن أخذ الموعظة أخذ شفاء الصدور، وكله بفضل الله عزوجل، وليس بفضل شيخ حفظ من كل سورة آية، وقرأها مع دعاء على كل مريض زاره، أما الشفاء، والهداية، والرحمة؛ فهي مخصوصةٌ للمؤمنين بهِ إيماناً حقيقيًا الذين يتعظون بكل آياته ليس من يقرأ ليعالج الناس أو من يسمع الآيات لمجرد أن يأخذها للعلاج... قال الله تعالى: { وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ }[سورة النور : 34]آيات السحر كلها التي يستخدمها الشيوخ للعلاج هي أمثلاً من الأقوام السابقة، سحر قوم موسى كان مجرد خدع بصرية، ونبي الله موسى عليه السلام لم يبطله بالقرأة عليها فقط، بل أبطلها باليقين بالله، بعصا خشبية رماها أمامهم فقط من منظور الناس السحرة رمو أعصيهم وحبالهم فأصبحت تسعى كالثعابين، لم تتشكل ثعابين لأنه تخيلها تسعى فقط ولم يقل ثعابين تسعى، تلاعب الشياطين بأفكار الناس يجعلها لاتُدرك الحقيقة من الخيال، وهذا أقصى ماتستطيع الشيطان فعله للساحر فقط يشوش على المسحور قال تعالى: { قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ }[سورة طه : 66]

قال يخيل إليه أنها تسعى، ماهي؟! حبالهم وعصيهم، لم يقل يخيل إليه أنها ثعابين تسعى، لأن الساحر لا يستطيع أن يغير الأشكال، ولاقدرة له على خلق مادة أخرى حاشى لله؛ فأقصى ما يستطيع فعله هو تشويش عقل الإنسان حتى يُخيل إليه أن الأشياء تتغير، والأحداث غير واضحة، وبنسبة للشيطان الذي يساعد الساحر، فهو أشد خوفًا وذلاً من الساحر نفسه.

والشياطين تستطيع أن تتحول لأي شيء، لكن لماذا لم يستخدم سحرة فرعون شياطينهم ليتحولوا ثعابين حقيقية بدل الحبال والعصيّ؟! لأن الشيطان إذا تحول يحكم عليه تحوله، فلو تحول لحية مثلاً وتم قتله فهو يموت فورًا، لذلك هم قليلاً مايتحولون وإذا تحولوا لأي شكل يكون تحولهم لثوانٍ معدودة فقط، وهذا دليل كافي على أنهم لا يتلبسون البشر، فحياتهم تهمهم، ولن يخاطرون بأنفسهم أبدًا، الساحر هو شيطان من شياطين الأنس يخدمة شيطان من شياطين الجن، ضعيف يخدم ضعيف.

لو تخيلنا موقف نبي الله موسى -عليه السلام- وهو يرى الحبال تسعى نحوه، كم هو مُفزع هذا المنظر، أي قلب سيتحمل رؤية حبال وعصيّ تسعى نحوه ويقف ثابتًا سوى قلب نبي طبعًا، لكنه أوجس في نفسه خيفة، في النهاية الأنبياء بشر مثلنا، يشعرون بالخوف والحزن والعجز أحياناً، لكن قلوبهم هي الثابته يقينهم بالله وإيمانهم القوي به يجعلهم في أمان وحماية، قد يخافون ثم يعودون للثبات ثقةً بالله وإيمانٌ كامل، رمى عصاه التي لم تكن سحرية ولم تكن جناً خارق، بل كانت عصًا عادية، لكن مالذي جعلها بتلك القوة كيف لإنسان عادي أن يتحدى ناس متمرسين في السحر ولديهم شياطين يخدمونهم والشياطين لديهم قوة خارقة، ستقولون لم يكن عاديًا بل كان النبي الله عزوجل، لكن هل كان معه أجنحة أو ملائكة يمشون بجواره أم كان ملكًا عظيم أنا أتحدث عن موسى الإنسان وليس النبي الذي كلمه الله عزوجل، موسى الذي تربى في قصر فرعون الطاغية الظالم، موسى الذي قتل رجلاً ففر هاربًا، موسى الذي رعى الأغنام عشر سنين، ثم أصبح نبيًا لأن الله أختاره أن يكون نبيًا صنعه الله سبحانه ورباه بإبتلائته ليتحمل عظمة رسالته، النبوة ليست قوة جسدية ولاقوة سحرية، النبوة إيمانٌ مطلق، ثقة ويقين بالله فقط، لدرجة أن يأخذ عصاه التي كان يرعى به أغنامه ويتحدى بها سحرة فرعون الطاغية، إيمان بالله وليس بالعصا ولابقوته، لتفهموا أن السحر مجرد خيال بسبب تشويش الشيطان على عقل المسحور، يمحوه اليقين بالله وآياته، وسيبطله الثبات أمام كيدهم وسحرهم، (لاتخف إنك أنت الأعلى) مادمت مع ملك الملوك ورب الأرباب وخالق الأسباب فلاتخف، مادام قلبك في السماء فلن تضرك قلوب تختبئ أسفل الأرض، ستكون أنت الأعلى منهم لذلك لاتخف، كن مطمئناً وألقِّ عصا اليقين أمام عصا الخوف والقلق ألقِّ عصا الثقة بالله أمام حبال الشك والجزع وستلقف ماصنعه السحرة والشياطين، ثقتك بالله ويقينك به، وإيمانك الشديد وتوكلك عليه، لايستطيع شيطان الوقوف أمامه،

ولايستطيع ساحرًا أن يغيره مهما بلغ سحره، أنت ضعيف، والشيطان ضعيف لكن الشيطان بحماية الساحر، والساحر أيضًا ضعيف، وأنت بحماية خالق الجن والإنس المطلع على الكون بكل مافيه، والمتحكم به، وكل الأمر في يديه، ستتحول عصاك ثعبان حقيقي لأنك مع خالق الخلق، ومدبر الكون وحاكمه العظيم.

فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ }[سورة طه : 20] عصا موسى عليه السلام تحولت لحية تسعى أمام تلك الحبال والعصيّ التي لايحركها إلا الخيال، خلقها الله حية حقيقية فعلاً، فهو الخلاق العظيم، بالله قلي أي مرض وأي خيال سيبقى مع اليقين، كيف لشك أن يؤثر على قلب ثابت بين صخور الثقة بالله، وجبال اليقين به؟! كيف لهذا المقص الضعيف أن يقطع صخرة قوية؟! وكيف للريح الصناعية أن تحرك جبلاً راسيًا بكل ثبات في أرض الإيمان؟! دعك من الوهم، وتجاهل الشك وابتعد عن الخيال، لاتركز عليه مهما زاد في قلبك، فهو سيندثر بقوة إيمانك.

شذرة 8

{ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ } [سورة الزمر : 38] ولتعلموا أن الشياطين خلق ممن خلق، وأن السحرة من خلقه أيضًا وكلهم عباد لخالقهم العظيم، لكنهم أسواء خلقه... فكيف يضروكم وهم منبوذون منفيون في غيبات آثامهم؟! فإن أصابكم ضرٌ بسبب أعمالهم الخبيثة فهو لأن الله سبحانه قد أذن بذلك، وليس لأن الشيطان قد أراد أو خطط لذلك، ولا بسبب أعمال السحرة التي لاتتجاوز كتابة أسمك على ورق، هم برغم عصيانهم وتعرفهم على خالقهم واستعانتهم بالشياطين، لازالوا مجرد مخلوقات ضعية، وأمرها كله بيد خالقها العظيم، هم لايفعلون إلا ما يريد خالقهم العظيم، رغم أنهم يعتقدون غير ذلك، قد يستطيعون أن يتمردوا على بعضهم، لكن ليس على من خلقهم، ويعرف سرهم وجهرهم، لذلك فأقصى ماقد يفعلوه بكم هو تنفيذ أمر الله فيكم... { ...ۚوَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ..}[سورة البقرة : 102]

شذرة 9

{ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ }[سورة البقرة : 9]

هكذا يبدأ الخداع، الذين يخادعون الناس، و يوهموهم بأفكارهم المريضة، ويجملون لهم واقعهم السخيف، الذين يوهمونك بالمرض، وهم ليسوا أطباء، فأعلم أنهم مرضى يحاولون خداع أنفسهم فقط.

فإذا صدقتهم وصدقت أن فيك مرضٌ لايشفى، وسمحت ليقينك بربك أن ينفلت ويرخي حباله عن قلبك، فسوف يهلك قلبك، و ستذوق الأمرين مرض الجسد ومرض القلب، كل بلاء وكل مصيبة هي من الله وحده ووحده القادر على رفعها عنك، لكن إذا صدقت لمرضى القلوب فسوف يصبح الوهم حقيقة لامفر لك منها.

أي مرض يبدأ بالشك، ثم يصبح حقيقة.{ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ...}[سورة البقرة : 10]

ليس هناك مرض مزمن، أو مرض لايشفى، فالإنسان يملك قوة داخلية تساعده على الشفاء من أي مرض، وفي المقابل هو يملك قوة عجيبة على المرض أيضًا، لذلك ماتشعر به يزداد تلقائيًا في قلبك أولاً، ثم في جسدك، هكذا يبدأ كل مرض وينتهي كذلك، بداية شعور مضطرب، ثم يقين، فيصبح واقعًا تعيش فيه.

إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [سورة الأنفال : 49] المنافقون يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر في قلوبهم، وخصالهم معروفة لذلك يسهل علينا معرفتهم، لكن الذين في قلوبهم مرض كيف نعرفهم، ليس لمرض القلوب أعراض ظاهرة، وللأسف هذا المرض مُعدٍ وخطير، ورغم ذلك فعلاجه سهل وسريع، لكن لا أحد يعترف بالمرض ليعترف بالعلاج، مرض القلوب هو الشك حتى بعد التوكل، والخوف من الضر رغم وجود النفع، وبذل الأسباب دون طلب العون من المسبب، مرض القلوب ينهش اليقين فيها، ويضعف إيمانها، ويقضي على صدق التوكل، حتى يصبح توكلك قولاً باللسان دون التصديق باللجوارح، وكم هم المرضى حولنا بل إن المتعافيّن شبه معدومين، ونادرًا ماتجد من يملك مناعة قوية ضد هذا المرض؛ لذلك هو يعيش بينهم سليم لكنهم يروه هو المريض الوحيد، فمرضى القلوب يرون التوكل تهور، لذلك يقولون للمتوكلين أنهم مغرورين بدينهم، وأن الحذر واجب عليهم حتى بعد توكلهم على الله ربهم، يرون التوكل والتسليم والثقة بالله وحده، غرورٌ بالدين.

قال تعالى:{ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } [سورة التوبة : 51]

قل للإنس والجن والشياطين وإبليس أن الله مولى المؤمنين، وأن المصائب كلها مكتوبة عنده، فلا مفر من القدر مهما أخذوا احتياطاتهم، وليس لهم من الأمر شيء سوى التوكل والرضى؛ ليكونوا من المؤمنين حقا.

{ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا } [سورة الطلاق : 3]

آتخافون ضيق العيش، ونفاذ الرزق، وربكم يملك خزائن السماوات والأرض؟! آتخافون أن يحسدكم الناس على أموالكم، فتنفذ؟! أم تخافون هلاك أملاككم التي ملككم إياها الرزاق العليم؟! وإن نفذ المال، أو هلكت الأملاك؛ فهذا لأن الله سبحانه جعل لكل شيء قدرًا، وهو العليم الخبير؛ لذلك لاتُفكروا في أسباب المصائب، ولا تتوقعوا انها شر لكم، لأن كل تحليلاتكم ستقودكم لكل شر توقعتموه، توكلوا وارضوا، ولا تسمحوا لأفكار إبليس أن تدخل عقولكم، فتفسد إيمانكم وتجعل الشك رفيقكم بدل الرضى، وحسن الظن بربكم يكفيكم، ويغنيكم عن كل شيء حتى عن البحث في أسباب مصائبكم هي مكتوبة لكم، وليس بيد مخلوق على وجه الأرض ضركم إذا أراد الله نفعكم؛ لذلك توكلوا على الله، والله وحده سيكون حسبكم في كل أموركم، ونعم الوكيل.

شذرة 10

{ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ }[سورة البقرة : 17]

في القرآن الكريم أمثلةٌ كثيرة ضربها الله لنا ، وهي ليست عادية أبدًا؛ فهي قد نزلت من السماوات العلى، لذلك القرآن لايقبل التفسير البشري، لأنه كلام ربّ البشر وربَّ الكون العظيم، المطلع على كل زمان ومكان، لذلك هو لن يحتمل تفسيرًا واحدًا، وليس مقيد بزمانٍ محدد.

وفي هذه الآية مثل عظيم لمن يؤمن بلسانه ولايلامس قلبهُ إيمانه، فمثله كمثل الذي أوقد نارًا في ظلمة الليل الحالكة، فلما أضائت لهُ المكان وأنس بها في وحشته وأمن من الخوف بعد أن أنارت ظلمته، واهتدى بها لكل ماكان مظلم حوله فرأى بوضوح بعد أن كان حائرٌ يتخبط في المكان المظلم لايعرف سوى اللون الأسود حوله.

فسبحان من ألهمه لاشعالها، ودلهُ على وقودها الذي يزيدها اشتعالاً حتى لاتنطفئ، بل إنها كانت موجودة من قبل، الشرارة التي أشعلت الحطب كانت من الله سبحانه، والإنسان فقط أستوقدها لتبقى مشتعلة، أوقد الشرارة حتى أصبحت نارًا مشتعلة، هكذا الهداية تأتي فكرة متقدة فإما أن توقد لها حطبًا أكثر وتحرص عليها لتبقى قوية أو أن تهملها حتى تنطفئ.

النار كانت شرارة في العصر الحجري أشعلت الحطب، فاكتشفها الأنسان وظل يحرص عليها حتى تمكن من فهمها واستطاع أشعالها واستفاد منها لأكله ودفئه ، وليستضيء بها، وقد تطورت تلك النار مع تطور الإنسان أصبحنا نستخدم الكهرباء والغاز ولهن عدة أستخدامات وكلها تخدمنا في الضوء والدفء، لِأكلنا وشربنا

كل هذه الهدايات هي من الله عز وجل، تسخير وتسهيل للإنسان ليعيش حياته، ويتفرغ لعبادة ربه، ويتفكر في نعمه التي لاتعد ولاتحصى... أولئك الذين استوقدوا النار آلفوا النار، و اعتادوا عليها حتى اصبحت شيء عادي، رغم أنها ضرورة من ضرورات حياتهم، لكنهم آلفوها، وهذه الألفة أنستهم ذكر ربهم، وغرتهم بالسير في طرق مختلفة بعد أن رأوا العالم حولهم نسوا مهمتهم الأساسية في الحياة، والتي خلقهم الله لها، نسوا العبادة وانشغلوا بالتطور، تطوروا من شعلة أوقدها فأصبحت الحياة أسهل وأسرع، وقد أوصلتهم لكل درب، ثم ماذا؟**!**

ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ

أصبحوا يبحثون عن المتعة وتحقيق الإنجازات الدنيوية، لقد انشغلوا بالنار نفسها ولم يشكروا الله على نعمة الهداية، ولم ينظروا حولهم ويتبعون ضوء الإيمان في قلوبهم، بل إنهم اشتروا الظلالة بالهدى، اعتقدوا أن هذه اكتشافات وعليهم العمل عليها من أجل تطويرها، ولم يعلموا أنها هداية لهم وعليهم العمل عليها من أجل دينهم.

هكذا تركهم الله في ظلمات التطور لايبصرون نور الإيمان ولا يرون ما أضاء لهم حولهم هذا التطور من طريق إلى الله، طريق لبناء أُمة قوية، مؤمنة، تحكم الأرض بالعدل، وتقود العالم بالعلم والتطور لترتقي بدينها في زمانها الراهن.

شذرة 11

تغير مسار جيشٍ بأكمله من أجل نملة، لذلك ثقّ أن الله عز وجل سيغير القدر لأجل دعواتك...{ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ }[سورة النمل : 18]

من عظمة القرآن أنهُ ذكر حتى خوف النملة؛ لتعلموا أن الله يعلم كل شيء، وبيده كل شيء، ولتعلموا أن رحمته وسعت كل مخلوقاته حتى النملة الصغيرة لم ينساها الله، ولم يتجاهلها حاشاه، يحفظ كل المخلوقات، فمابالك بقلبك الخائف.

نبيّ الله سليمان -عليه السلام- بجيشه العظيم، وهو أعظم جيش في التاريخ، الجن والإنس، والوحوش والحيوانات، ويقودها نبي عظيم لهُ ملكٌ عظيم، فيسمع كلام نملة صغيرة، فيغير مسار جيشه لأجلها.

{ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ }[سورة النمل : 19]هكذا هم العظماء متواضعون لكل المخلوقات، تبسم بسمة إمتنان في لحظة سعيدة جدًا بالنسبة له، لحظة إدراكه لكل هذه النعم جعلته يبتسم ضاحكًا، ويدعو الله عز وجل

رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ

ومع كل هذا قال وأدخلني برحمتك في عبادك، الصالحين، أي تواضع وأي رقيّ هذا؟! أين نحنُ من هذه العظمة؟ نبي أعطاه الله ملكًا عظيم ومع ذلك يدعوا أن يكون من الصالحين.، لن تكون من الصالحين بعملك؛ بل برحمة الله لك، كل نعمة ينعم الله بها عليك هي لوالديك أيضًا، فصلاحك من صلاحهم، بل إنك جزء منهم، لذلك لهم جزٌ منك أيضًا.

شذرة 12

يقول الله عزوجل في القرآن : { قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [سورة المائدة : 100] لمن الخطاب هنا، هو لأصحاب العقول، وليس لمن لايستخدم عقله ولايفكر، ولايملك أفكار تخصه، الذي سيتبع الخبيث؛ لأنه لايفكر، ولكن الذي يفكرون هم الذين عليهم أن يتقون الله، وسوف يعرفون أن كثرة الخبيث، ليست مثل القليل من الطيب، الطيب القليل سيكون هو الأنفع والأصلح، وأظن أننا لكي نكون من أولي الألباب علينا أن نفكر، ونؤمن بأفكارنا، ولانسمح لعقولنا بأن تتشوش بسبب الأفكار الخارجية، لنجعلها تميز الخبيث من الطيب علينا أن نحلل مايصل إلينا وهل هو مناسب لمعتقداتنا وشريعتنا الإسلامية، أم لا يناسبها.

[هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } [سورة آل عمران : 7]

لا يعلم تفسير القرآن إلا الله وحده، ولا يوجد تفسير للقرآن واحد متكامل، وإلا كان فسره لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا تنسوا بأن القرآن معجزة خالدة متجددة في كل زمان، فالعقول تتجدد، والأفهام تتغير حسب تغير الزمان، والله سبحانه يحفظ القرآن من أي تحريف، أو تبديل، لكن لايعني أن تفسيره واحد، فهو معجزة، والمعجزة لاتُدركها عقول العالميّن، ولن تدركها العقول مهما تجددت، وتبدلت، وتطورت بالعلم فلن تحصر ما ذكر الله عزوجل فيه، بل إنها لن تُحيط ولو بقليلٍ مما فيه، ففيه ماضي، وحاضر، ومستقبلٌ لم يأتي، هو لايتجدد بذاته، لكننا نحن من يتجدد، الأجيال تتغير، والحضارات تتطور، والقرآن جاء لكل هذه الأجيال دون تجدده مع تجدد، بل إنهُ قد ذكرها كلها قبل أن توجد، وأنزل لكل زمان أحكامه، ونظامه وقانونه، فالقرآن يفهمنا ولسنا نحن من نفهمه، جعله الله نور وهدى لأولوا الألباب.

قال تعالى: { هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ }[سورة غافر : 54]

فقد قال سبحانه من قائل(... وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ ...)

الراسخون في العلم يؤمنون به إيماناً كامل، فهم قد تعلموا كل علومه، وقرأو تفسيره، فأمنوا بما تحملهُ الآيات العظيمة، وعرفوا يقيناً أن كل شيء فيه، وفي هذا الكون العظيم هو من صنع ربِّ العالمين، لكنهم لايذكرون أي خاطر فيه، أو ذكرى تنفع المؤمنين، فالذين يتذكرون هم أصحاب العقول السليمة فقط، ربما عقول الراسخون في العلم قد امتلأت بالحقائق العلمية، والنظريات، والبراهين، بينما أصحاب العقول السليمة يطلقون العنان لعقولهم، لتسرح في الكون العظيم دون براهين، أو نظريات، يأخذون الآيات بعقل سليم، فيتدبرها تدبرٌ صحيح.

قال تعالى{: ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ }[سورة الرعد : 19]وقال تعالى: (...وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } لذلك فودهم أولوا الألباب سيذكرون مقاصد القرآن في زمانهم هم، والذكرى هي التي تنفع المؤمنين.

قال تعالى :{ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ }[سورة الذاريات : 55]قد تنفعكم ذكرى لم ترد في تفسير، وليست حتى تفسير بل خاطر خطر في عقلٍ سليم، وأقصد بهذا ماجاء به العلماء المجددين.

{ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَـٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ } [سورة الزمر : 18]هم الذين هداهم الله عزوجل، بحسن أستماعهم، وصدق اتباعهم، أولئك هم أصحاب العقول السليمة التي تعرف النقيّ من الملوث.{ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ }[سورة ص : 29]

شذرة 13

[وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ }[سورة القيامة : 2]

سبحان من أقسم بالنفس اللوامة، سبحانه العظيم لايقسم إلا بعظيم، النفس اللوامة: هي نفس المؤمن التي تلومهُ على ترك الطاعة، وعلى كل ذنب صغيرًا كان، أو كبيرًا، تلومه على تقصيره، وتعيده لرشده كلما نسي نفسه ، داخل كل إنسان تُقام حربًا ضروس بين الخير، والشر، بيّن نفس مؤمنة، وقرين فاسد يأمرهُ بإتباع شهوته، وشيطان يُزين لهُ عمله، فيجعل الشهوة ضرورة لاضرر فيها، هناك حروب دائمة تُقام داخل كل إنسان... لا أحد يصل للسلام الكامل في داخله أبدًا، في داخل كل إنسان أخلاق نبيلة، وأخلاق رذيلة، كالحسد والكره، والقسوة، والحقد، وهذه هي مصدر الشقاء الرئيسي للقلوب، فنار الحقد مهما كانت صغيرة، ستُحرقك، وظلام الكره مهما حاولت إخفائهُ سيظهر في حياتك، ويجعلها مُعتمة، سوداء قاتمة بعد أن ينتشر، فإذا كنت أنت عدو نفسك، فمَن سيعاديك أيها المغرور؟! كل إنسان عدو نفسه شاء أم أبى، تستطيع أن تتعامل مع العدوا الخارجي، لكن العدو الداخلي سيقضي عليك دون أن تعرفه، فأنت أكبر عدو لنفسك، لذلك توقف عن معادة كل من حولك، تصالح مع نفسك ليتصالح الناس معك.

كيف تنتظر من الناس أن يتوقفوا عن محاربتك، وأنت تحارب نفسك بنفسك؟! لا أحد يكرهك؛ بل لا أحد يذكرك، وإنما أنت تكره الناس؛ بسبب سوء ظنك، وإن كان كلامهم قاسي عليك، أو حتى تصرفاتهم حمقاء معك، فهذا لايعني أنهم يخططون لشنّ حرب ضدك؛ بل أنت بدأت تكره الجميع دون سبب مقنع، مواقف وتصرفات، وكلمات، حتى خيانات قد انتهت لديهم، حتى أنت بنسبة لهم قد أصبحت لاشيء في حياتهم،بغض الطرف عن ما تسببوا لك من ألّم، وحزن لكن كرهك، وبغضك لهم سيدمرك أنت، أنهي وجودهم من حياتك، أخرج كل مايخصهم من ذاكرتك، تصالح مع الكره ودعهُ يرحل قبل أن يدمرك، فالحقد عليهم لن ينفعك. هو سيُحرقك حتى تعود رمادًا، وستخسر المعركة وحدك، المعركة التي قامت داخلك وبدأت حربًا ضد نفسك، وأتخذت أسلحة قوية، وأعددت العدة فخرجت، ولم تجد غيرك لتقتله، كم سنين، أو أشهر، أو حتى أسابيع أكل قلبك البُغض، ودمرك الغضب، وقادك الحقد لشنّ هجوم أنت خاسرٌ فيه؟!! ارحم قلبك، وأنقذ نفسك منك، سامح ماضيك، وحتى حاضرك، سامح نفسك، تصالح معها، وانسى كل شيء، فقط إنسى، دون تفكير، دون تبرير. لترتاح منهم انساهم وعشّ حياتك لوحدك بعيدًا عنهم، و لتنتقم منهم سامحهم، فهم سيخافون منك عندما تغفر لهم جرائمهم، مهما كانت كبيرة فغفرانك سيجعلهم يرونك أقوى منهم، يسوف خافون من ثباتك، وسلامك الداخلي، وسيندمون على ما فعلوه بعد أن يروك لم تتأثر، وقد يتأثرون بدلاً عنك، لا تتأكد، ولا تبحث عن زلاتهم، ولا تستفسر عنهم، ولا تهتم بتأثرهم ظهر أو لم يظهر، فقط اهتم بمحوهم.

كن وفيّ ومخلص ورقيق، وصادق مع نفسك، ومع من حولك. ولا يغيرك الناس، وحقدهم، دعّ الحقد، والكره مجرد شعور عابر، وودعه بإبتسامةٍ باردة .

نحن في رحلة لا تتوقف ولا تنتهي إلا بموت الرحال، رحلة الحياة لاتخطيط فيها؛ لأن القدر قد رسمها لنا من قبل، لذلك ولتطمئن قلوبكم، ولترضى بالقدر ولتسير بحذر فالطريق مجهولة ... مهما ظننت أنك قد فهمت الحياة ستتفاجأ بجهلك فيها أكثر بعد أن تلتقي أولئك الناس الذين يُظهرون عكس مايُبطنون، شئت أم أبيت ستلتقيهم وستعرف أنك طوال رحلتك كنت تجهل نفسك، سيُخرجون أسواء ما فيك ليُثبتوا لك أنك أسوأ منهم ... تزود بالثقة المطلقة، والحلِّم، والسكينة حتى وإن كنت في آخر الرحلة فلاتيأس من نفسك، أجعلها بداية حياة، ولاتجعلها نهاية لك لاترضخ لهم، ولاتهتم لقولهم فيك، وخوضهم؛ بل ثق بنفسك وتجاهل كل مايؤذيك.

شذرة 14

يقول الحق سبحانه:{ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [سورة الأحقاف : 13]

من يعرف أن الله ربه كيف لهُ أن يحزن؟! من يعرف لُطف اللطيف، ورحمة الرحمن، كيف يحزن؟! وكيف يخاف من استجار بالعظيم الجبار؟! قل ربي الله ثم استقم في حياتك، وركز على ذاتك فقط، استقم في طريقك إلى الله، واترك كل شيء، وكل شخص يزيد حزنك ولو كان يواسيك؛ فيكفيك أن الله ربك، وحده يُذهب حزنك، ويُطمئن قلبك بذكره وقربه، فكن مستقيم في سبيلة وهو سبحانه سيقيم حياتك.

{ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }[سورة الزمر : 61]

ستنجو من الهم، والحزن بتقوى قلبك، بيقينك بربك ستفوز على يأسك، وألمك وهمك، وحزنك، وستنجوا من كل كرب برحمتهِ فقط، اتقي الله في نفسك، ولا تحملها هم أمسك، ويومك وغدك عش لحظتك، وتوكل على ربك بصدق تقواك، اترك الوجلّ وآمن بالقدر، ودع الأمور تسير كما دبرها ربك العليم الخبير

{ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ }[سورة النحل : 127] لن يمسك سوء إلا إذا كان في باطنه خير لك وسرور فدع عنك التباكي، واصبر على كل النوازل، ولاتشتكي لمخلوق وربّ الخلق ومالك القلوب، وعالم الخفايا، وجابر الكسور، ورحمن السماء، ورحيم الأرض، ورازق كل مايدب عليها سبحانه، وحده ربك، ومغيثك، وجابرك؛ فكن وليٌّ له حق ولاية؛ لتفوز برضى مولاك، فإذا رضي عنك الكريم أرضاك فأمنك من كل خوف، وفزع وأبعد عنك كل حزن وجزع.

{ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }[سورة يونس : 62]

شذرة 15

{ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ } [سورة النحل : 127]

الصبر ليس بالشيء السهل، ولا يأتي بقوة الشخص، وحده الله من يأتي لك بالصبر، وأصبر وما صبرك إلا بالله… مهما حاولت أن تصبر عن شيء، فلن تستطيع إلا إذا كان الله قد ألّهمك، وأعانك، وأيدك بالصبر، عندما تصبر عن شهوة، أو تصبر على أذى، فليس لأنك تُريد أن تصبر؛ بل لأن الله أراد لك أن تصبر فما صبرك إلا بالله، فلا تغتر باستقامتك، ولا تفتخر بالتزامك، وإيمانك، فلولا أن مدكَ الله بالصبر على نفسك، وشيطانك ما صبرت ولا استقمت، لكنها رحمةً منه وفضلٌ عظيم.

أشكر نعمّ الله عليك، ولا تمنُنّ على ضعاف النفوس، أو تزدريهم، وتستحقرهم لِمجرد أنك تصبر على ضعف نفسك، فأنت قد أكرمك الله، ولولاه ماصبرت فاشكره، وتواضع له، ولاتنظر لنفسك فضلٌ عليك في استقامتك، ولا تنظر لنفسك على إنك أفضل من غيرك، وإيمانك أقوى من أيمان من حولك، فلولا لُطف الله بك ماكنت شيءً مما أنت عليه.

{ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ }[سورة النمل : 70] وفي الكفةَ الأخرى لِؤلئك الذين يشعرون بالحزن على أهل المعاصيّ، ويضيقون من أفعالهم، ويتمنونّ لهم الصلاح، مما يجعلهم يُحاولون مرارًا وتكرارًا معهم دون جدوى، فيخيم عليهم الحزن، ويضيق صدرهم مما يرون ولا يقدرون على تغييره... رفقًا بقلوبكم وصبرًا بربكم، لاتحزنوا على أهل المكر، والمعاصي، والظلال، عليكم نصحتم، وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، وهذا الذي عليكم، فلا تبتأسوا إذا لم يتغير الوضع ولم يؤمن أهل الضلال ولم يصدقوكم أهل المكر وجادلوكم ليثبتوا لكم أنهم على حقّ، توقفوا هنا، ودعكم من جدالهم، أو من الحزن عليهم؛ لأن أفكار الشيطان قد أصبحت هي المباحة لديهم، جدالهم لأن صدورهم تضيق عمد تذكيرهم بالطريق الصحيح، فتراهم يتكلمون ويجادلون بعقول مقفلة، قد أصابهم رجسٌ من الله بسبب غفلتهم وبُعدهم عنه، فلا تتفاجئ منهم، ولا تحزن عليهم.

{ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ }[سورة الأنعام : 125]

{ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (97) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (98) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (99) }[سورة الحجر : 97 إلى 99]جدالهم عن الباطل وإنكارهم للحق، ورغم جهلهم في الدين لكنهم لايصدقون من هو أعلم منهم فيه، فيبادرون للتكذيب، والإنكار، أو حتى التغاضي والأستهزاء، قد تنصحهم نصيحة لايحبون تطبيقها، لأنك تريد أن تخرجهم من معتة زائفة يرون فيها راحتهم المفبركة، فيبادرون للدفاع عن أفكارهم القديمة، ويعطوك دلائل من ماضيهم المغبر، سيتذكرون أجدادهم الجاهلين، ليجعلوا علمك بينهم جهلٌ وتلاعب بالزمان وتغيير لنظام الكون، تغيير الأفكار القديمة يشبه القتل بالنسبة لأصحاب العقول الضيقة التي لاتعرف الحرية المأسورة في زنزانة الجهل أبد الدهر، ستهاجمك وتتهمك بأبشع التهم، ثم سيحاولن قتلك ليموت التجديد، والحرية ليس لأنهم يريدون أن يبقوا في الأمان المصطنع لهم الراحة التي رسمها لهم الشيطان بألوان الطيف الجميل يرونها دون لمسها، لكنهم أحبوها وفرحوا بغفلتهم، وتمسكوا بجهلهم؛ بل وتوارثوه أبًا عن جد، سيجادلوك جدالات سخيفة لامعنى لها، وسيرفضون أدلتك الحقيقة بحجج واهية والحقيقة أنهم يقنعون أنفسهم بها فقط، هكذا حتى يضيق صدرك بما يقولون، لكن الله سبحانه أعطاك الحل ليس لنبيه فقط؛ بل هو لكل عباده المؤمنين، والدليل أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد مات منذ مئات السنين، لكن القرآن لازال موجود كما كان منذ نزل عليه، ولم يتغير والله سبحانه حيٌّ لايموت، من رحمته بنا حفظ هذا القرآن العظيم من التحريف والتغيير، حفظه بعظمته لنا، لنأخذه بيقين وحب وإيمان، ليكون علاج لما في صدور المؤمنين، فسبّح بحمد ربك، سبّح السبوح القدوس ربَّ الملائكة والروح، سبّح بيقين سبحان من قد المقادير وأعطاء للناس عقول متفاوته، سبحانه أنعم عليهم، وهم جاحدون لنعمته، فقد أهملوها حتى أصابتهم الغفلة المهلكة، سبحان من يراهم يعصونه فيستر عليهم بحلّمه ورحمته، سبحان من يسمع كلامهم لجلالته

وعظمته، يسمع انكارهم لوجوده، ويراهم يتخذون ألهةً غيره، فيعبدونها بجهلهم، فلا يغضب عليهم ، ولايخسف بهم، وكل القوة والجبروت في يديه، سبحانه ما أعظم حلمه، وما أوسع رحمته.

كم نضيق نحنُ عندما نرى العاصيين، وهم يجاهرون بعصيانه نشتاض غضبًا ونحترق غيضًا، ولو بأيدينا قتلناهم شر قتله، سبحان الله العظيم الحليم، يمهلهم ثم بعد فترة تجد بعضهم قد اهتداى، وأصبح من العباد المخلصين، أنت كنت تكرهه لمعصيته، وربما تذكرتها عندما رأيته، لو كان غضبه كغضبنا لهلكنا جميعًا، ولأصبحت جهنم تثور في بيوتنا، ولو كانت رحمته كرحمتنا لما دخل الجنة مذنب، ولظلت الذنوب تتلى عليهم ليلاً ونهارًا... نحن نغضب فنترك من أغضبنا أو نعاقبه، لكن الله عز وجل يغضب؛ فيحلُم علينا ويُمهلنا حتى نعود إليه، بل ويمحو الذنب بعد الأستغفار منه، نحنُ عندما يتم تجاهلنا ، نتجاهل من تجاهلنا ونسينا، لكن الله عز وجل يرانا نتجاهل الأذان، ونؤخر الصلاة، ونبتعد عنه وقت الأنشغال، ومع ذلك يتقبلها منا حتى ولو أتت متأخرة، أو عدت إليه بعد ما احتجتهُ حاجة قوية، لكنه لا يتركك، ولا ينساك، أو يتجاهلك حاشاه، له المثل الأعلى ليس كمثله شيء، هو الله ربنا أقرب إلينا من حبل الوريد خالقنا العظيم الرحيم، رازقنا وميسر أمرنا... سبحان الله العظيم وبحمده... الحمد لله أننا عرفنا أن ربنا الله، عرفنا رحمته بنا ولطفه علينا، وقربه منا الحمد لله أننا عباده وحده وأن لا إله غيره وأن الكون كله بيده، والأمر له من قبل وجودنا ومن بعد اندثارنا.

شذرة 16

[۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ }[سورة يوسف : 7]

هنا كل الآيات التي يبحث عنها السائلين، عن الحب، والرحمة، واللُطف الربانيّ، للسائلين عن الجبر بعد الكسر، وعن الأمان بعد الخوف، وعن اللقاء بعد الفراق، وعن نهاية الصبر الجميل، وعن الحب الذي لايموت، والحزن الذي يُطفئ عيون المحبين، ستجد الخيانة بدافع الحب، وستجد الأحلام العظيمة يحققها ألّم عظيم، تتعلمها من نبيٍ عظيم أراد الله أن يُعلمه التأويل، لكن دلال أسرته له قد يجعله لا يتعلم، فالدلال الزائد لا يبني رجال جلّدين، كيف لنبيّ عظيم أن يصنعهُ الله، وهو في حضن أبيه، وبين أخوتهِ الأشداء؟!!!

{ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (8) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (9) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (10) } [سورة يوسف : 8 إلى 10]لمن يسأل عن الغيرة أنت لا تملك قلبك، ولا تستطيع أن تتحكم في مشاعرك، والحب شعور يولد في كل قلب، فحب أبيك يولد معك، ويكبر معك ثم تتملكك الغيرة على من تحب، حتى قد تغار من أخوك الصغير، قد تغار على أبيك لأنه أذاقك نفس ذاك الحب في صغرك، وعندما كبرت كبر حبه في قلبك، وهو أحب أخوك الصغير كما أحبك، وقد دللهُ كما دللك، قد تغار حتى وأنت رجل كبير، قد تغار من أخوك الصغير.

الغيرة مُلازمة للحب، والحب يُعمي القلب، وهذا مادفع أخوة يوسف ليتأمروا عليه؛ إنهُ حب أبيهم، شوقهم لحنانه الذي أغرقهم فيه منذ نعومة أظافرهم، الحب الذي لا يحكمهُ العقل، تحكمه الغيرة، والغيرة لاتملك عقل، فأنت عندما تغار تُجن، وإذا لم تُحكم عقلك، قد تتهور، وتفكر بالقتل من أجل أن تحضى بقلب من تحب، فعذر أخوة يوسف مسموح في نظرهم، لأنه لم يكن بدافع الحقد، بل بدافع الحب، ثم تكلم الذي يستخدم عقله، فهداهم لكي لا يقتلوه، لكن شوقه لأبيه لم ينطفئ، وحبه مازال يشتعل كالجمر في قلبه، فقال لا تقتلوه وألقوه في غيابات الجب يلتقطه بعض السائرين، هنا حبّ أيضًا لكن أعماه حبّ أكبر منه، حبّ أبيه أكثر من حب أخيه، وكانت الغيرة هي المتحكمة في تلك اللحظة.

{ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22) }[سورة يوسف : 21 إلى 22]

أي حزن انتاب نبي الله يوسف -عليه السلام-؟ وأي قهر عصر قلبه؟أخذوه أخوته من حضن أبيه، ودلاله ليلعب تحت رعايتهم، وقد ذهب بكل سعادة، وكان يشعر أنهُ في جوف الأمان، فهو مع عصبة من الرجال الأشداء سيذهب ليلعب دون خوف...وهنا درس عظيم في آية عظيمة جدًا، يعلمك أن لاتركن على الناس، ولاتأمن لمجرد أنهم معك، لأن حتى وأنت في حماية أعز الناس، الله وحده الأمان، وأنت في بيتك في حضن أبيك، وفي دلالة لكن وحده الله من يحفظك، ويحميك في كل مكان وزمان.

الله سبحانه يربي الأنبياء، فيضعهم تحت رعايته وحده ويصنعهم بالابتلاءات، يعلمهم الإيمان والثقة المطلقة فيه وحده، حتى لو كانوا أبناء أنبياء، لكن الله يريد أن يشكل قلوبهم تشكيلاً ربانيّ.

أول درس في رحلة صنع قلب نبي الله يوسف -عليه السلام- كان ترك الإعتماد على أخوته في حمايته، ليعلم أنه بين أخوته الرجال الأقوياء، الله وحده من يحميه، وليست قوتهم التي تحميه.

حتى حبهم لن يكفيه، لذلك لا تخاف من أي خيانة؛ لأن الوفاء لايحميّ قلبك؛ بل هو حفظ الله لك، ولقلبك فإن خُذلت، فهو خيرٌ أراده الله لك، فلاتبتئس، وتضيّع مشاعرك بالحقد على من خذلك، أو طعنك وخانك؛ فأنت حتى حين تمت خيانتك في حفظ الله، ورعايته.

نبي الله يوسف في غيابات الجب وحيدًا يفكر في ماحصل له، والسيارة تسير إليه، بل يسوقها الله إليه، ثم يأخذوه وهو طفلٌ خائف وحيد حزين، فأي قهر أعظم من هذا القهر؟

ثم يبيعونهُ بضاعة، ذاك الولد المُدلل أخو العصبة من الرجال يباع ويُشترى كالبضاعة، أين الأب الحنون، وأين الأخوة الذين يساندوه وينصروه؟

هكذا يُصنع الأنبياء، تُصنع قلوبهم بالألّم، والوحدة، والحزن من أجل أن لاتتعلق بأحد، فقط تتعلق برب العالمين، ولكي تؤمن إيماناً خالصًا يجب تنقيتها من كل الشوائب، يجب طرقها ثم صقلها، لتتعلم أن الأمان والحب، والرحمة في كف الرحيم، وأن القدر سيمضي بشره، ليقودهم لخيره، ليتعلقوا بمن لا تنقطع حباله، ولا يترك عباده، ثم يطغى حب الله على كل حُبّ في قلوبهم، وكل لذّة، فتصبح تلك القلوب لله وحده، وكل همها أن تُعرف الناس على الله عز وجل بعد أن عرفته وآمنت به.

قلوب الأنبياء جواهر كلها بريق أملٍ لا ينطفئ، نبي الله يعقوب -عليه السلام- عرف بأن أبنائه يُريدون أن يتركوا أخوهم، فقد أنبئه الله بذلك وربما عرف مكانه، وهو وحيد في غيابات الجُبّ، لكنه الإيمان الخالص، إنها النبوة العظيمة، لم يذهب إليه رغم حزنه الشديد، ولم يعاتبهم؛ بل صبر صبرًا جميلاً على أبنائه، وعلى خوفه وحزنه؛ لأن هذا قدر إبنه يوسف، أن يعيش بعيدًا عن إخوته؛ لكي يُعلمه الله تأويل الأحاديث، فلو كان بينهم لن يتعلم، فكيدهم كان سيأتي كما أخبره أبوه، لكنهم كادوا له حتى قبل أن يعرفوا إنهُ نبيّ، وقد اختاره الله من بينهم، فكلها أقدار الله لحكمة، حتى وإن لم تفهم الحكمة في البداية ستفهمها في النهاية، عندما تعرف أن خيانة أخوك، أو قريبك، أو صديقك كانت رحمة من الله عز وجل، لكي يبتعد عنك، فالله يعلم وأنتم لاتعلمون، ولتعلم أن الوحدة، والحزن تقودك إلى مؤنسك الذي يحفظك ويحفظ قلبك، ويقودك لقدرك العظيم، ويكفيك من الدنيا عظمة حبه في قلبك.

شذرة 17

علمتني سورة يوسف أن لا أيأس أبدًا، وعلمني نبي الله يوسف أن لا أرضى بالعبودية، وأن أعمل كل ما باستطاعتي من أجل الحرية علمني نبي الله يوسف أن لا أحلم فقط بأن اتحرر؛ بل علمني أن لما هو أبعد وأكبر.

علمتني سورة يوسف أن لاأحزن على أحبتي الذين فارقتهم؛ لأني سوف أجدهم في مكان أفضل، وفي منصب أعلى، وفي حياة أجمل، و يستقبلوني أجمل استقبال حين نلتقي.

علمتني سورة يوسف أن العتاب مضيعة للوقت، وزيادة للبؤس، أن العتاب لن ينفع، ولن يُجدي؛ بل سيزيد من الحقد، والحزن في القلب؛ لذلك نبي الله يوسف أسرها في نفسه، ثم عفى عن إخوته.

علمتني أن لاأعتمد على أحد حتى أهلي؛ لأنهم قد يُضيعوني، فلا أعتمد إلا على الله، نبي الله يوسف رموه أخوته، فأرسل الله له عزيز مصر، ليكفله لم يشتري نبي الله، بل ساقه الله إليه لخدمة نبيه.

تعلمت من سورة يوسف أن لا أغتر بالكثرة، ولا بالمال، وأن ابعد الأنظار عني قدر ما استطعت، علمتني أن لا اتكلم عن أحلامي الجميله، واحتفظ بها بعيدًا عن الناس، وأخفيها في مكان آمن حتى يأتي وقتها.

علمتني سورة يوسف أن العلم لا يمكن أن تمنعهُ أربعة جدران، فالعلم يدخل حتى للسجن، وهو يُحييّ كل سجينٍ فالعلم نورٌ يبدد ظلام السجون.

علمتني أن الحبّ وهمّ وخداع، وإلا لكان نبي الله يوسف صدق به، لكنه أعرض عنه، فلا يوجد حُبّ يضيعك، أو يحاول أن يُدنس طهارتك وطهارة قلبك، لا يوجد حُبّ يستدرج نُبلك ورُقيّ أخلاقك، لكنه حُبّ الشهوة والغرور، لقد علمني أن هناك حب يسجنك ويظلمك ويكسرك بالكذب والإفتراء ووحده حب الله يحررك من كل هذه الادعاءات فحبّ الله نور وسكينة وحرية حتى لو أدخلوك آلاف السجون المظلمة فحب الله يجعلك حرًا طليقًا، عندما اختار السجن ليس استسلام أو هروب بل هو انتصار لاجدال فيه، أختاره لأنه كره أن يكون تحت حراسة عيون غدارة تتربص به، أو تحت عيون الكائداتٍ الماكرات، السجن حصن منهن، وردع لهن، وهكذا انتصر على عدوه الماكر.

وأخيرًا وليس آخرًا فقد علمتني سورة يوسف أن الأمل موجود حتى في غيابات الجُبّ.

شذرة 18

{ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا (35) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ (36) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي (39) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ (40) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41) }[سورة طه : 25 إلى 41]

عندما تدعوا الله عز وجل، وكُلكَ يقيّن بإجابته؛ سيستجيب، تأمل هذه الآيات العظيمة... موسى -عليه السلام- يدعوا ربه والله عزوجل يقول لهُ: قد أوتيت سؤالك ياموسى.

[وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي (39) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ (40) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41) }

وهذه ليست أول مرة، ليس أول عطاء وليس أول مددّ، فلو لمّ يُعطيّنا إلا إذا دعيناه؛ لعجزنا عن عد حاجاتنا، أوحى الله إلى أم موسى، ثم إلى اليّم ثم إلى فرعون، ثم إلى أخته، ثم أعاده إلى أمه، ثم قتل نفسًا فنجاهُ من القتل، كل هذا ليس لأن موسى خطط، ولا لأن أمه خططت، ولا أخته؛ بل كلها تدابير الله عز وجل، فليست صدفة، ولا خطة مدروسة، بل إنها حكمة الله سبحانه، يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، وهو السميع العليم.

فرغم أن الله عز وجل يحبّ أن يدعيهِ عباده، لكنه لا ينتظر دعائهم ليعطيهم رزقهم، ولا ليحفظهم ويدبر أمرهم، هو كريم عليهم رحيم بهم، قريب منهم حافظ لهم ورازقهم، ومدبر شؤونهم، وهم لا يوقنون كل هذه التدابير، ولا يتفكرون، ويشكرون.

الدعاء جائزة تحصل فيها على ما تريد، و ليس على ما تحتاج، فحاجاتك يتكفل بها الرحمن سبحانه لايلهيهِ شأنٌ عن شأن، و أقدارك هو يدبرها لك؛ فلا تقلق، ولا تفكر، فقط تفكر في نعمه وأشكره عليها، وأدعوه بما تريد، وأنت موقن بأنه سيجيب.

شذرة 19

{ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ }[سورة الأنبياء : 76]

النداء ليس هو نفسه الدعاء بل هو ندى بصوت عالٍ نادِ الله بأعلى صوتك، ليس لأنه لايسمعك، أو لأنه بعيد حاشاه، ولكن لتشهد كل مخلوقاته على ندائك لتطلبه أمام جُندهِ الذين لايعرفهم أحدٌ سواه، لن يردك حاشاه وهو الكريم، النداء يكون للشخص البعيد، أو الذي لايسمع، لكن ندائك لله هو؛ لأن صدرك ضيق، وهمك كبير وحزنك عظيم، فترفع صوتك لتستنجده، فينجدك... آلن تطلب النجده لو كان منزلك يحترق؟ آلن تصرخ بأعلى صوتك ليأتي أكبر عدد من الناس لمساعدتك، واخراجك من الحريق، ألن تشعر بالقهر، فتصرخ مستنجدًا هذا هو النداء، أرفع لله صوتك، عبر لهُ عن عجزك، وضعفك، نادهِ بصوتك، وقلبك. وروحك، فكل نداءٍ لله، ذكر بعده... فاستجبنا له

{ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ (84) }[سورة الأنبياء : 83 إلى 84]

في وجعك وضرك وتعبك نادِّ الرحمن الرحيم، فلاتلتفت للأسباب، إلا وقد لجأت إلى المُسبب، نادِّ الله قبل أن تُنادي الطبيب، وتشكوا لهُ وجعك، نادِ الذي بيده كشف الضر، ثم التفت لما سخر لك من أسباب، لكن قبل أن تتخبط بين الدكاترة، والمستشفيات، وتبحث عن علاج لمرضك، الذي قد يُحير الأطباء، ليزيدوا عليك همك، وغمك، ويُفقدوك الأمل من عافيتك، لذلك قبل كل شيء نادِ الرحمن الرحيم، قل: ربِّ إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ، سيرحمك، ويرفع عنك ضرك.

فما أروعه من دعاء، دعاء الصابرين، لم يقل أني أتألم وقد ضرني المرض وعذبني، ولم يقل أني مضرور، ولم يجعلها بذاك الحجم الهائل رغم أن مرض نبيّ الله أيوب -عليه السلام- كان شديد فعلاً لكنه قال مسني الضر فقط ، ولم يقل أهلكني الضر الذي أصاب جسدي، بل مسنيّ الضر فقط؛ لكي لايسخط على ابتلاء الله له، فكان في قمة الأدب في ندائه، لقد استصغر ضره ومرضه، وعظم رحمة خالقه، كأنه يعاتب الصبّر بقوة إيمان، وعزيمة على التحمل رغم نفاذ الطاقة، واستخفاف بالعجز الذي أصابه، واللجوء لله بكل صدق من ضرٍّ مسه، هكذا همّ الأنبياء عندما يدعون الله، فعندما يشتد صبرهم، وتقل حيلتهم يتوجهون لله ليسألوه، فيغلبهم حبهم لربهم، فيعظموه، ويستصغروا كل ما مسهم من ألّم ووجع، وضيق، وحزن، يعجز الوصف عن وصفهم .

{ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ }[سورة ص : 41]

عندما نادى أيوب ربه قال ربيّ إنيّ مسني الضر، وعندما أشتد ألّمه قال ربيّ إنيّ مسني الشيطان بنصبٍ وعذاب، فمرضه قد طال وزاد، وهذا ليس مجرد ضر عابر، أو مرض خفيف، لكنه لم يقل قد ابتليتني يارب بكل هذه الأمراض، ولم يقل قدرت عليّ هذا؛ بل قال مسني الشيطان بمشقة وعذاب، ليس المرض من الشيطان، لكن الجزع أحياناً، وضعف العزيمة، ونفاذ الصبر، واليأس من الحياة، هذه كلها تأتي بسبب الشيطان، في المرة الأولى قال مسنيّ الضر، وأنت أرحم الراحمين ثقة برحمة ربه، وأن بيده كشف ضره، لكن في المرة الثانية قال: مسني الشيطان بنصب وعذاب... زاده مشقة فوق تعبه، بوساوسه، وزاده عذاب بسبب محاولاته؛ ليضعف إيمانه بربه، العذاب هنا ليس عذاب الجسد؛ بل هو عذاب الروح، وتعذيب القلب بالكلمات المسمومة، ومحاولة التأثير على العقيدة.

الشيطان لا يؤثر ذاك التأثير على الإنسان القوي بإيمانه وبجسده، هو لا يستطيع أن يضره بوساوسه أبدًا، لكن إذا ضعف الجسد قد يستغل الفرصة، ويحاول جاهدًا أن يؤثر على القلب.

مرض الجسد مجرد ضر، ومرض القلب عذاب ومشقة، فكيف إذا اجتمع المرض والعذاب؟! سيزداد الحمل بسبب عذاب القلب المستمر، وضعف الجسد المضرور، ثم ستعاني الروح من مشقة الصبر، والتحمل.

فاستجاب لهُ ربه وكشف ضره، وغسل جسده من المرض ومن التعب، وأزال وساوس الشيطان بماءٍ باردٍ يُطفئ ناره التي قد أشعلها في قلبه.

{ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ }[سورة ص : 42]

[فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ (84)}

رحمة وذكرى للعابدين، ليتذكروا أن البلاء مهما اشتد؛ فرحمة الله أوسع مما يظنون، ليتذكروا أن الأبواب مهما أُقفلت فرحمة الله تفتح بدلّ الباب ألف باب، عندما يتوكلون عليه وحده فقط؛ ويصبرون في سبيله، ليتذكروا أن لا يوجد مرضٌ عُضال كما يدعون؛ بل ضر يمسّ الجسد؛ فيكشفه الله برحمته، ليتذكروا أن لا علاج، ولا أطباء، ولاتقدم يُفيد، إلا برحمة الله لهم، وكشفه هو عن ضرهم.

شذرة 20

هناك يقين لايخالطه ظن، وهناك ظنّ يأتي ليُربكَ الإنسان، لكن قلبهُ مطمئن بالإيمان، وهناك ظنّ دون يقين في القلب يُطمئنه، وظنّ في القلب لا يمكن أن يُصبح يقين.

الإيمان الخالص لله لايخالطهُ ظنّ، وهو إيمان الأنبياء فقط.

قال تعالى:{ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (99) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) }[سورة الصافات : 99 إلى 101]

يقين، وثبات، وإيمان لايخالطه شكّ، وقال إني ذاهبٌ إلى ربيّ سيهدين، ثم دعا ربِّ هبّ لي من الصالحين، بعد خذلان قومه، وتكذيبهم، ورميهم لهُ في النار، وقف بكل ثبات، وقال كلماته بكل ثقة، ثم دعا ربه وكلهُ قين بالأجابة؛ ... هذا هو إيمان الأنبياء يقين لايخالطة شك، حتى في أصعب اللحظات يقفون بكل ثبات، وبكل ثقة؛ لأنهم مع الله، فلا قلوبهم تخاف، ولا بمكن أن تخالطهم الظنون.

قال الحق سبحانه :{ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62) }[سورة الشعراء : 61 إلى 62] إن معي ربي سيهدين، ضع نفسك مكان قوم موسى كنت ستخاف، وستهرب، وستظن أنك مُدركٌ لامحالق، فالجنود ورائك، والبحر أمامك، والطريق مسدود، الواقع يقول إنك هالك، والظروف لاتسمح لك بالمقاومة، لكن اليقين بالله الذي لايتزحزح، الذي يخاف الصعاب، الإيمان الخالص الذي لايمكن أن يرتاب أو يخالطة شكٌ بمعية ربه له، وحدهم الأنبياء قد حازوا عليه، وفازو بذاك المدد العظيم، بتصديق قلوبهم، ويقينها الذي لايتجرئ الشك، والجزع من الأقتراب منه.

ثم ماذا؟ ثم جاء المدد، لم تنزل الملائكة، ولم يفرق البحر من تلقى نفسه؛ بل أتت الهداية الربانية لنبي الله موسى.

{ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ } [سورة الشعراء : 63] لتقف أيها الحائر الجبان بعقلك المضطرب، وقلبك اللهفان قفّ هنا، وتأمل حال إيمانك، ويقينك بالله هل تدعوه بالهداية، ثم تنتظر أن تأتي إليك الملائكة، لتُرشدك إلى الطريق، تخيل أن تقف بثبات أمام قومك وكُلك إيمان بربك، فتقول: يارب أهدني، فتسمع كأن قائلاً يقول لك: خذ عصى واضرب بها، تخيل هكذا موقف، سوف تتلفت حولك، وتظن أنك أصبحت مجنون، لن تسير وراء قلبك، لخوفك أن يضحك عليك قومك، ماذا سيقولون إن أخذت عصاي وضربت بها البحر، أو الحجر، أنت لن تفعل ذلك أبدًا، وإن فعلتها فستكون خائفًا من سخرية قومك لك إذا لم يحدث شيء؛ هذا هو سبب دعواتك التي لم تُستجاب إلى الآن، أو التي تجاهلت نور هداية الله لك فيها، ولم تتبع سوى ظلام اليأس، وخيبات ظنونك، عندما تدعوا تأتيك الهداية من الله لتحقيق ماتريد، لكنك تتجاهل، وتظن أنه الجنون أن تفعل شيء مُخالف لعاداتك، وتقاليدك ياقليل اليقين بربك، قلبك وجلٌ، وتريد إجابة دعواتك في عجلّ، راجع نفسك؛ فالأنبياء قد بذلوا أسباباً عادية لمعجزاتٍ عظيمة، نبي الله موسى وقف أمام فرعون، وتحدى السحرة بعصى خشبية، لم يخف من السخرية، ولم يُلقي بالاً لإستهزاء قومه، ولم يتزعزع يقينه بالله أبدًا، وليس ثقة بالعصا؛ بل برب الكون كله، إنما العصا سببًا لمعجزة عظيمة، هذا هو إيمان الأنبياء، لاشك فيه ولاظناً يخالطه، يواجهون أكبر الطغاة بعصا صغيرة، إيمان بالله، بقدرته وعظمته، إيمان قويّ لدرجة أنهُ قد يشقّ البحر حتى لو ضربوه بعصًا عجفاء لاحول فيها ولاقوة.

لايهم ما مدى قوة السلاح الذي تحمله، فكل ما يهم هو ما مدى يقينك بربك، هل تؤمن بهِ يقيناً، وبإجابته لدعواتك؛ تهمس لقلبك إن معي ربي سيهدين، فتشعر بتلك المشاعر المضطربة قد خضعت، ولانت، وسكنت؛ لتسمع وتشعر بهداية الله لها؟!

هل سمعت كلمة بعد أن دعوت الله لترتاح من حيرتك فوجدها تُجيب على السؤال الذي يحيرك، أو شاهدت صورة طمأنت قلبك، قرأت عبارة تشبهك تمامًا، وصلتك رسالة تُطمئنك، هذه كلها هدايا من الله عز وجل، لكنك لا تملك اليقين الكافي؛ لتستبشر وتُقن بأن دعواتك قد صعدت للسماء السابعة، وأن الأجابة أتت إليك هداية، وماعليك سوى أن تبذل السبب مهما كان صغيرًا في نظرك، فهو لن يكون أصغر أو أضعف من عصا نبي الله موسى-عليه السلام- العصا التي شقت البحر بقوة الإيمان، قسمته بأكمله إلى نصفين لو أنزل الله إليه سيف في تلك اللحظة ليتأكد قومه من نبوته، ما كان ليُفيدهم، الإيمان الذي يرتبط بالأسباب لايصنع معجزات، بل يأتي لك بطرق، ووجهات، وتيسير من كل اتجاه، لكنه لا يفتح لك طريق النجاة، والهرب من الطغاة، والمفسدين، وحدهُ الإيمان بالله دون النظر للأسباب، يجعل العصا تُفجر الصخر عيوناً، وتفلق البحر نصفان، وتُبطل سحر السحرة، والمشعوذين، وكل ذلك بعصى، هل العصى بتلك القوة، أم إنه الإيمان المطلق بالله؟!!!

هو الإيمان بالله يجعل كل ماحولك هداية، وإنارة، وإرشاد، والإيمان يحتاج إلى عمل لتصديق الجوارح.

] إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا }[سورة الأحزاب : 10]

أما الإيمان الخالص لله في قلوب المؤمنين، فهو قد يطرأ على القلب ظناً لحظة قلق، وخوف خارجة عن سيطرة الأنسان، لكن قلبه مؤمن، وموقن رغم تصرفه، وقلقه الذي يظهر في بعض المواقف الصعبة.

{ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ }[سورة الصافات : 87

شذرة 21

{ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ }[سورة القصص : 30]

لا إله إلا الله... كيف تحمل نبيّ الله موسى -عليه السلام- ذلك، بل كيف كان إحساسه في تلك اللحظة، إنها لحظة موت وحياة بنسبة لنبي الله، موت من الخوف، وحياة جديدة وسعادة كاملة لاتوصف، أنها لحظة اكتمال المشاعر، اكتمال للخوف والرهبة والخضوع، وللسعادة والرضى، وهذه اللحظات لا يصل إليها إلا الأنبياء -عليهم السلام-

[إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] هذه اللحظة تفوق الخيال، وتعجز أمامها المشاعر، ويتوقف الكلام لحظة اجلال، للحظة نداء من السماء نداء ربّ العالمين بعظمته وجلالة ينادي نبيه ليعرفه عليه سبحانه ما أعظمة وما أرحمه، أنه الله ربّ العالمين.

لا أعلم هل أحسد نبي الله موسى -عليه السلام- على ذاك الشرف العظيم وأن ربّ العالمين ناداه وسمعه وكلمه، فما أعظمها من سعادة وما أعظمهُ من تكريم، أم هل أُشفق على قلبه الذي سمع نداء ربه وخالقه العظيم.

ذاك القوي خاف وارتجف وولى مدبرًا عندما راى عصاه تهتز، الرهبة والخوف لم يكونان من العصا بل من ربّ العالمين من الذي لو أراد لجعل العصا عقاب وعذاب لبني إسرائيل لكنه جعلها آية لعلهم يتذكرون، ونبي الله موسى خاف أن يعاقبه ربه على ذنوبه لذلك ولى مدبرًا، ولم يرجع إلى عصاه حتى أمنه الله عزوجل

{ يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (9) وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (10) إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (11) }[سورة النمل : 9 إلى 11]

ياموسى أقبل ولا تخف إني لايخاف لدي المرسلون، وحدهم المرسلون الذين أعطاهم الله الأمان

{ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ }[سورة القصص : 31]

ليس فقط من الحية بل هو من الآمنين من كل شيء من أعدائه ومن خوفه نفسه ومن ذنوبه ...

نعم هو تذكر أنه قتل منهم نفسًا وهذا ذنب عظيم، وهو نبي عظيم لم يقل ربي هل غفرت لي لم يسأله لأنه يعلم أن الله يغفر الذنوب جميعًا لكن ليطمئن قلبه

قال { قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ }[سورة القصص : 33]

هذا هو يقين الأنبياء وأدبهم مع خالقهم العظيم، لقد قال له الله تعالى: إنك من الآمنين، لذلك هو لم يخف أن يقتله بني إسرائيل ولكن يخاف أن لاينجوا من العقاب على ذنبه، كان خائفًا من الذنب وليس من القتل، كان خائفًا أن ينال جزاء ما اقترفت يداه، فاعترف لربه بكل أدب، أعتراف التائبين، الواثقين بربهم المؤمنين به إيمان لاي خالطه تشكيك، هو يعلم أنهم لن يستطيعون قتله، لكن قد ينال جزاء ذنبه.

{ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ }[سورة الشعراء : 14] فمابالنا بذنوبنا التي لاتعد ولاتحصى ونحن مسلمون هذا نبي معصوم ونحن لسنا أنبياء ولسنا من الآمنين، هذا وهو قتل كافر من بني إسرائيل، فنابالنا بذنوبنا التي لانخاف أن ينالنا العقاب بسببها في الدنيا وفي الآخرة، من الذي يئمنا من أنفسنا سوى خالقنا وعالم سرنا ونجوانا، فلماذا لانهرب من الخوف إلى الله، ونهرب من الذنوب إلا الغفور الرحيم ونهرب من الضياع إلا الأمان، ومن القلق إلا السكينة، لنهرب ولانلتفت ونعود لله بكل ذنوبنا، ندعوه ونسأله الأمان، ونسأله السداد، ونسأله أن يشرح صدورنا لآياته ولكتابه العظيم.

شذرة 22

{ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًاۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }[سورة المؤمنون : 114]لابأس سينتهي كل شيء، يوم، أو بعض يوم، إقامتنا في الدنيا لن نحسبها بالسنين، بل سنحسبها بالساعات فقط ؟ تأمل {قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ} [المؤمنون : 113]لم تتعدا يومين في نظرهم؛ هو يوم، أو بعض يوم، فماذا أنت فاعلٌ فيه؟!قد يكون نصف يوم، أو ربع يوم، فكيف تستغل هذا الفترة القصيرة؟! هل ستقف لتتذكر أحزانك، و بؤسك، وتندب حظك؟! لكن ليس لديك غير يوم واحد تعيشه، هل ستفكر في الناس، ورأيهم فيك، وظلمهم لك؟! ليس لديك إلا يومٌ واحد تعيشه.

هل ستؤجل عمل الخير، والصالحات وتؤجل الصلاة؟! لكن يومك قد لا يكتمل.

ليتنا نُدرك أن أعمارنا التي نعدها بالسنين، لاتتعدا الثانيّ في تاريخ الكون العظيم؛ فمن أنت أيُها المسكين؟ كم ستعيش، وهل ستنجو بنفسك؟

إننا نعيش يوم، أو بعض يوم، قد لانستطيع عمل الكثير في يوم واحد، على الأقل لنعمل مافُرض علينا، و لنستشعر نعم الله تعالى علينا، ولا ندع الأحزان تُسيطر على قلوبنا، ولا نسمح لليأس بالتسلل إلينا، لايوجد وقت أيُها الإحباط، فنحن لن نعيش إلا يوم، أو بعض يوم... أجعل هذه قاعدة لك تعيش بها (عمرك كله يوم أو بعض يوم) والأختيار لك، فكر كيف ستعيش يومك هذا، وكم ستُهدر منه، إنهُ قليل جدًا فإياك أن تُسرف فيه، وإياك أن تُعطيهِ لأحد، خذ يومك واجعله خالصًا لوجه الله تعالى، أستغل حتى الثواني التي فيه، تصدق فيها بالتسبيح، والتهليل، أنت تحتاج إلى الكثير من الجهد، لتنجوا يوم تعرض على الله أعمالك، سيسألك ماذا فعلت في عمرك؟ ولو ظننته يوم واحد فهو عمرك، ولن تنجوا بهذا العذر، فإياك ثم إياك أن تستهين بهذا اليوم، أو تضيعه في التحسر، والحزن، والقلق، فقد ينتهي، وقد تموت في نصفه، أو في أخره، وربنا في بدايته!

فقم لله ولا تركن إلى الدنيا، ولا إلى نفسك، لاتؤجل عمل اليوم؛ فليس لك غد، بل قد يكون الغد هو الآخرة، فهي الغد، وفيها سيكون حصاد اليوم، وأنت لن تستطيع أن تزرع في موسم الحصاد أيها المسكين، بعد هذه الحقيقة، وكل مافي القرآن حقيقية، وكل مافي الحياة كذب، الحياة ستجعلك تتأمل في الغد، وأنت تحلم بالغد المشرق، تؤجل كل شيء للغد لوقت فراغك، تلهو، وتلعب؛ لأنك ستعوض نفسك غداً، وكم علقنا من أمالٍ على ذلك الغد الذي لن يأتي، وإن أتى فهو نفسه اليوم، ماضيك، وحاضرك، وسنينك كلها تجتمع في يوم واحد، اربعًا وعشرون ساعة، كم نضيع منها.

هل نحن نستفيد من كل ساعة؟

بل إننا نعطي ساعة لصديق نكلمه، وساعة لقريب نسمعه، وساعة لمجالس اللهو، وساعة للراحة، وساعة للعمل، وساعة نشتري الأكل، وساعة نصنع الأكل، وساعة نأكل، ونصف اليوم ننام فيه.، قسمنا يومنا الذي لانملك سواه نصفين، نصف نوم، ونصف نعمل فيه لنأكل.

أين العبادة؟ اعطيناها دقائق، ولم تتعدا الساعات؛ لأن الدُّنيا أشغلتنا، يومنا سينتهي، ونحن ضيعناه، ما أثمن تلك الساعات التي نُضيعها، فمَن يُعيدها لنا؟ لن تعود... كان ممكن أن ندخرها للآخرة، كان يمكننا تزيينها بالأعمال الصالحة، بدل أن رميناها في الفراغ بسبب جهلنا لقيمتها.

{ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا }[سورة الإسراء : 52]

شذرة 23

{ ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) }[سورة الواقعة : 75 إلى 76] إن المسافات التي بين النجوم هي مسافات زمنية، وليست كالمسافات الأرضية، بعضها لاوجود له، وقد اندثر منذ زمن طويل لكن ضوئهُ لم يصل إلى زمننا إلا الآن، فالمسافة التي بيننا وبين النجوم لاتقاس بالساعات العادية، بل بالسنين الضوئية، نحن في الكون لاشيء، نحنُ أصغر من كل قياس، أعمارنا لن تكمل ثانية بالنسبة لهذا الكون العظيم، أجيال متعاقبة، وسنين متتابعة، وحضارات تمر وتندثر، جيوش وحروب تقام وتنتهي، انتصارات وخسائر، جمعناها في كتب أسميناها تاريخ، ليأتي نجم واحد فيخبرنا أننا لسنا شيء وأنه غير موجود أندثر منذ آلاف السنين، لكننا أصغر من أن نعرف تغيرات الكون، أو أن ندرك عظمته، نحن نسير بسرعة كبيرة بينما الكون يسير بالبطيئ، أندثار نجم في الفضاء وضوئه لايزال يصلنا لأننا نسير بسرعة جنونية، أوقاتنا هي الأسرع في الكون، لذلك سيصل ضوء النجم إلينا رغم أنه غير موجود وقد أختفى لكنه يشبه السفر عبر الزمن، أنه قسمٌ عظيم سبحان الله العظيم، خدعتنا مواقع النجوم، والنجوم أرشدتنا، وهتدينا بضوئها في ظلمات برنا وبحرنا، وهي في الفضاء ترانا كنملٍ يسير بسرعة جنونية، يهلك وادي ويبنى آخر، كم نحن خاسرون، وكم أننا مغرورون، ولسنا شيء.

{ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }[سورة النحل : 12]فسبحان من أقسم بالعصور والأزمان

بسم الله الرحمن الرحيم { وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3) }[سورة العصر : 1 إلى 3]

نحن خاسرون في سباقنا مع الزمن، فاشلون في كسب الوقت، وإدراك حقيقته، نحن ضائعون في متاهات زمنية معقدة، أفكارنا قديمة من ماضينا الذي تندثر، بعضها لازالت متوهجة ومتجددة، وبعضها لا فائدة لنا إن تمسكنا بها، وكما تندثر النجوم ويبقى ضوئها يتوهج في أعيننا البسيطة العاجزة عن تفسير عظمة الخلق وبديع صنع الخالق سبحانه جل جلاله هناك أناس كالنجوم أندثروا لكنهم مازالوا يضيئون لنا الطريق بعلمهم الذي تركوه لنا، هم منارات نهتدي بها في ظلمات عصرنا، هم فقط يرشدنا إلى الطريق بوصايهم وخبرتهم النابعة من إيمان قلوبهم، فأعمالهم الصالحة هي الفائزة في سباق الزمن، لكن لا يجب أن نجعلهم أساس العلم في عصرنا فهم منبع نور نهتدي به لما يُصلح حالنا، هم الذين يرشدونا لطرف الخيط، ونحن من يحيك الأفكار بما يناسبنا، ويناسب زماننا.

الخاتمة

يا من قرأت كتابي إن كنت متعصب ومتشدد في الدين فهنيئًا لك هذه المنزلة، لكن لاتناقشني فيما كتبته ولاتقل أن هذا تفسير، فهي مجرد خواطر كتبتها بحب ومن عشقي لآيات ربي نشرتها، فلايحق لك أن تسمي خواطري تفسير... وإن كنت قارء تبحث عن أخطائي بين السطور وفي الكلمات وخيانة التعبير لي في بعض الجمل والتشبيهات، فمرحبًا بك أيضًا لكنك أضعت عليك الكثير أيها المشغول بالقليل، أما إن كنت تقرأ حبًا في القراءة فهنيئًا لك هذا الحب العظيم، ومرحبًا بك مرتين مني ومن حروفي وكلماتي.